الفصل الثاني

الشتات اليهودي ودلالات فشل الصهيونية في الرواية العبرية المعاصرة

الشتات اليهودي ودلالات فشل الصهيونية:

يعد الأدب من أهم وأوثق الأدلة والبراهين، التى يمكن الاستناد إليها فى الكشف عن القضايا والإشكاليات المهمة لمجتمع ما من المجتمعات، والوصول إلى جذوره من جميع النواحى الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، وغيرها، والتي يصعب في كثير من الأحيان رصدها بصدق عبر مصادر أخرى، مثل الكتابات المباشرة بشتى توجهاتها وأنماطها.

إن العمل الأدبى يتناول الأحداث السياسية والاجتماعية، وغيرها، ويتساءل البعض هل هناك علاقة بين النص وسيرة الكاتب، وهل يعتبر وثيقة تاريخية تدل على فترة معينة؟ والإجابة على هذا السؤال تستلزم دراسة السياق التاريخي، والسياسي، والاجتماعي، والنفسي المفجر للعمل الأدبى، فلا يمكن نفى العلاقة الوثيقة بين النص ومثيراته. إن النص الأدبى يؤثر ويتأثر بالسياق الاجتماعى للمجتمع، وعادة ما يتحول الإبداع إلى صدى للأحداث الاجتماعية، أو وعاء يتضمن الوقائع التى يعيشها البشر.

«ومثلما يشير العمل الأدبى إلى الأحداث الجارية ويرتبط بها، إلا أنه أيضاً يبين سيرة الكاتب، وحياته، وما يدور بعقله. والقيمة الحقيقية فى بحث علاقة العمل الأدبى بالسيرة الذاتية للكاتب تكمن فى البحث عن شهادة إنسان مبدع أراد أن يدرس ويحلل متناقضات واقعه، ويزيد من قيمة النص، وطرح أسئلة تدور بالعقل بلا إجابة، والأنا تربط، دائماً، المبدع بالعالم الخارجى المحيط به، وقصة الثلاثية للأديب نجيب

محفوظ، توضح أنه عاش تلك الحقبة، وشاهد بعينيه الأحداث»[1].

وإذا كان الكاتب هو مبدع النص الأدبى، فمن الواجب أن يتحرى الصدق التام فيما يتناوله من الأحداث التاريخية، حتى تكون بمنأى عن الشك ومعبرة كوثيقة عن الحدث والأحداث موضوع النص الأدبي، إذ «ينبغي على الفنان ألا يلوى عنق الحقيقة التاريخية فى سبيل الإبداع الفنى، فإن ذلك يعد تزييفاً فى التاريخ، وينأى بالعمل الفنى عن خاصية أولية من أهم خواصه، وهى الصدق. والصدق الذى نقصده هنا هو (الصدق التاريخى) الذى لا نراه متعارضاً مع (الصدق الفنى)، إذا لا ينبغى أن يكون الصدق الفنى ذريعة للتنصل من الصدق التاريخى الذى يخلق غيابه آثاراً سلبية خطيرة فى الوجدان الإنساني، بشكل عام»[2].

«وليس هناك أى نوع من الشك يخامر جمهرة الباحثين فى تواريخ المجتمعات القديمة من النواحى المختلفة سياسية كانت، أم اجتماعية، أم فكرية، فى أن الأدب يمثل واحداً من أهم وأوثق السجلات المعرفية التى يمكن الاستناد إليها فى استقاء المعلومات عن التكوينات الباطنة فى مجتمع من المجتمعات، والتي يصعب في أحيان كثيرة رصدها عبر سائر المصادر المعرفية المباشرة من كتابات سياسية، واجتماعية، وفلسفية، وما شاكلها»[3].

«ونتيجة لازدياد الثقة بالوثيقة الأدبية وجدارتها فقد اتجهت مجموعات من الباحثين فى أوضاع المجتمعات الحديثة والمعاصر، إلى الاعتماد على الظاهرة الأدبية فى الكشف عن مختلف الأوضاع فى هذه المجتمعات... ومع مرور الوقت، تطور هذا الاعتماد وتبلور عنه اتجاه نحو دراسة المجتمعات المعادية، والتعرف عليها عبر الوثيقة الأدبية»[4].

---

(١)عبد التواب، ميرفت إسماعيل، النص الأدبي كيف يستلهم التاريخ؟ صفحة الأدب، جريدة الأهرام، ٣/ ٢/ ١٩٩٥، ص ١١.

(٢)قاسم، قاسم عبده (دكتور): بين الأدب والتاريخ. كتاب الفكر، العدد٧، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٥.

(٣)البحراوى، إبراهيم عبد الحميد (دكتور): الأدب الصهيونى بين حربين، حزيران ١٩٦٧ وتشرين ١٩٧٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٧، ص ٧.

(٤)المرجع السابق، ص ٨.

«ومن الدراسات الشهيرة التى أجراها باحثون أمريكيون للأدب السوفييتى فى إطار الاهتمام بدراسة الواقع السوفييتي، خلال الفترة الستالينية، تلك الدراسة التى تقدم بها «بول هولندر» لنيل الدكتوراه، تحت عنوان (نماذج السلوك فى الأدب السوفييتي الستالينى ...دراسة عبر أدبية للقيم والضوابط فى المجتمع الديكتاتورى) (The American sociological review. June 1966). وقد أثبت هولندر فى صدر بحثه، أن وجهة النظر التى وجهته فى البحث هى أن ظروف المجتمعات الديكتاتورية، نادراً، ما تسمح بدراسة موضوعية، أو وصف للأفكار الاجتماعية، والقيم الرسمية فيها، ومن ثم فإنه من الضرورى استخدام الأدب فى مثل هذه المجتمعات للتعرف على هذه الأفكار والقيم، باعتباره أحد المصادر الرئيسية التى يمكن أن تقدم المعلومات فى هذا الصدد»[1].

ولما كان للأدب العبرى الحديث والمعاصر دور بارز فى تناول القضايا والإشكاليات المهمة التى واجهت الصهيونية، منذ نشأتها، وتغلغلها فى فلسطين بأساليبها الاستيطانية والتعبير عنها، وكان هناك كذلك دور مهم لهذا الأدب، بعد قيام دولة إسرائيل، في إبراز القضايا والأزمات التى واجهت الدولة، كالصراع بين الدينيين والعلمانيين، والصراع الطائفى والثقافى بين الإشكنازيم، والسفارديم، والمهاجرين، بمختلف هوياتهم، والصراع المهم حول مكانة الشتات اليهودي، والصراعات الأخرى حول تحديد هويتها، وهوية اليهود داخلها .. من هذا المنطلق، كان التوجه للأدب العبرى المعاصر لدراسة القضايا المهمة التى نسعى لبحثها للتعرف على المجتمع الإسرائيلي الحالى، ونقاط قوته وضعفه، وإفرازات تلك القضايا، وتأثيرها على المشروع الصهيوني.

ويمثل «الشتات اليهودي فى الرواية العبرية المعاصرة (موضوع البحث)، إحدى القضايا الإشكالية المهمة التى تمس علاقة هذا الشتات فى الوقت الراهن بدولة إسرائيل.

وعند رصد الأعمال الروائية التى أولت اهتماماً واضحاً بهذا الموضوع، وخاصة بعد

(١)نفس المرجع، ص ٩.

تبدل الرؤى والأفكار، إثر حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، وجدنا أنه قد صدرت أعمال كثيرة حول هذا الموضوع، وقد تم اختيار ثلاثة منها تجسد بتنوعها وتنوع كتابها هذه القضية، ومن بينها روايتان كتبهما أدباء ذوو أصول شتاتية إشكنازية، وهما:

١. رواية فويجلمان ١٩٨٧، لأهارون ميجد.

٢. رواية حفرة الثلج ١٩٩٧، لأهارون أبيلفلد.

ورواية كتبها أديب إسرائيلي تعود جذوره الثقافية إلى أصول سفارادية وهي:

٣- رواية فيكتوريا ١٩٩٣، للكاتب اليهودي العراقي الأصل، سامي ميخائيل.

لقد كانت تصفية الشتات اليهودي، أو «جمع شتات المنفيين» (קיבוץ הגלויות)، من الثوابت الرئيسية في صلب بنيان الأيديولوجية الصهيونية، حيث كان البند التنفيذى في الفكر الصهيونى هو تفريغ الشتات اليهودي بشتى الوسائل، والدفع بهم إلى فلسطين تمشياً مع العقيدة الصهيونية الرامية لاستعمار «أرض فلسطين». فالحركة الصهيونية بزعامة «ثيودور هرتزل» وأعوانه، هي التي خلقت دولة إسرائيل ككيان استيطانى استعمارى، ولم يكن مهماً، في البداية، أين يقام هذا الكيان فى أوغندا أو الأرجنتين أو غيرهما، ثم جاء التحول إلى فلسطين ليكون الدين اليهودي قوة دفع وجذب ليهود الشتات في هجرتهم إلى فلسطين تنفيذاً للأفكار التوراتية بـ«الأرض الموعودة»، ومن هنا سعت الحركة الصهيونية لإنجاز نجاحات استيطانية سياسية ودينية، على الرغم من المعارضة من قطاع كبير من اليهود، وحدوث انقسام واختلاف فكرى ودينى حول ذلك، ولكن في النهاية نجحت الصهيونية في بناء هذا الكيان على أرض فلسطين، حيث يقول هيرتزل: «إن فلسطين هى وطننا التاريخى الذى لا ينسى ... وأن هذا الاسم وحده سيظل صيحة لم الشمل القوية لشعبنا»[١].

ويقول، أيضاً: «إن فلسطين هى المكان الوحيد الذى يستطيع اليهود أن يذهبوا إليه، فمجرد ذكر اسمها يثير عند الشعب اليهودي ذكريات تاريخية تقدر على إلهامه وتحريكه»[٢].

(١)جارودى، رجاء: المرجع السابق، ص ١٩.

(٢)المرجع السابق.

ومن هنا، روجت الصهيونية لأفكارها العنصرية والاستيطانية بين اليهود في شتى أنحاء دول الشتات، بأن فلسطين أرض خالية (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض)، وبدأت موجات الهجرة إلى فلسطين لدعم دولة إسرائيل بالسكان، وعملت على محاولة التوفيق بين مختلف المهاجرين، رغبة في الانصهار والتآلف، أملاً في الأمن والأمان تحت مظلة الكيان الإسرائيلي (دولة إسرائيل)، ولكن الواقع أبرز فشل مخططات الصهيونية في تحقيق ذلك.

وفى حديث أجراه «يعقوب باسار» مع الكاتب المعاصر «أهارون أبيلفلد» حول رواية «حفرة الثلج» (١٩٩٧م)، وما تطرقت إليه الرواية من احداث تتعلق بالشتات اليهودي، وعلاقته بالواقع الراهن داخل إسرائيل، كان من أهم ما تضمنه الحوار ذلك الجزء الذى تطرق إلى الانتماء والأمان، بين الشتات وإسرائيل

«سؤال يطرح نفسه ، هل تشعر أنك غريب حتى اليوم ؟

أجاب: إن كلمة غريب ليست هى الكلمة الصحيحة.

هل الكلمة الصحيحة هى «مغترب» .

ربما مغترب، ولكننى أشعر كفنان وكأديب، أحياناً، بأنني أعبر كثيراً عن البلاد أكثر من الذين يكتبون عنها فحسب، إن الهجرة هى الأمر عميق الحذور لتلك البلاد، الهجرة بكل تياراتها، بكل صعودها وانحطاطها. وأنا وأنت كلانا نمثل تلك الهجرة جيداً، أكثر مما يكتب ويقال عن «الكيبوتس» أو الجامعة. الهجرة هى ما يميز تلك البلاد، مجموعة من الناس اقتلعوا من أحد الأماكن، ولم يغرسوا كما ينبغى بمكان آخر»[١].

ولد الكاتب «أهارون أبيلفلد»، عام ١٩٣٢، وهاجر إلى فلسطين، عام ١٩٤٦، أى أنه كان في عمر الطفولة (١٤ عاماً)، بمعنى أنه عاش طفولته الأولى في الشتات، ولم يحمل لهذه السنوات إلا ذكريات التشرد والضياع.

«كان في الثامنة عندما قتلت والدته بطلق نارى بجوار البيت، فبقى مع والده، ثم هربا

(١)בסר, יעקב: אהרון אפלפלד כשאתה רואה את המות, השפה מצטמצת, מכרה הקרח, עתון(77), גלי (212), עמ'4.

إلى ترتسنستريا (أحد أقاليم أوكرانيا)، وتنقلا من معسكر لآخر، ويقول، أيضاً: «كنت صبياً في العاشرة، وكان الأشخاص الذين كانوا معنا في المعسكر يقولون: إنه حتى اليوم يسمعون صراخي بعدما انفصلت عن والدى. وبدأ أبيلفلد رحلة التشرد، ففي عام ١٩٤٤ ، عندما جاء الروس انضم إليهم كصبى يعمل بالمطبخ، ويقول: «أتعجب كيف بتيت على قيد الحياة حيث إنه بالتأكيد كان من الضرورى أن أموت، وقال لكن الحب أعطانى قوة»[١].

وقد هاجر أبيلفلد إلى فلسطين مع هجرة الشباب، وقضى عمره وشبابه بإسرائيل حتى أصبح واحداً من رموز الأدب المعاصر في إسرائيل. وعلى الرغم من ذلك، يقول أنه، حتى الآن، لا يزال مغترباً، أى أنه لا يشعر بالدفء، والأمان، والاطمئنان، والتوافق، داخل الكيان الصهيونى. وأشار في حديث له في معرض إجابته عن السؤال عن الهجرة، وجذورها، وما تعنيه من الارتباط بالشتات، إلى أن الهجرة هى التى تميز إسرائيل، ولكن المقصود من تلك الإشارة هو أن إسرائيل هى خليط من مختلف المهاجرين من شتى أنحاء الشتات، ومن هنا تبرز صعوبات التوافق والصهر، وبالتالى افتقاد الأمن، والأمان، والدفء المنشود من قبل أنظمة الصهيونية ودعاتها.

وفي آخر الفقرة، يقول أبيلفلد عن المهاجرين إنهم «مجموعة من الناس اقتلعوا من أحد الأماكن، ولم يغرسوا كما ينبغى فى مكان آخر»، والأديب يتحدث هنا بقصد، أو بدون قصد، عما قامت وتقوم به أجهزة الصهيونية من اقتلاع ليهود الشتات من مواطنهم الأصلية، واقتيادهم إلى فلسطين، وزرعهم فيها طبقاً لأغراض وأهداف الصهيونية بغرض الاستيطان، ودعم دولة إسرائيل.

ومما يؤكد ذلك هو كلمة «اقتلعوا»، وورودها في صيغة المبنى للمجهول، أى أنهم جلبوا، في الغالب، رغماً عن أنفهم بشتى الوسائل، ما بين الترغيب والترهيب. وفي نهاية الفقرة، يقول:« لم يغرسوا كما ينبغى، أى حسب القوانين والأعراف الدولية، حيث إنهم غرسوا في فلسطين على أشلاء الشعب الفلسطيني، وهو ما عبر عنه بمكان آخر (فلسطين).

(١)כהן, אדיר: סופרים עבריים בני זמנינו, הוצאת מזרח, תל אביב, 1979, עמ'95.

وهكذا عبَّر الأديب «أهارون أبيلفلد» عن حالة وجوده، في الوقت الراهن، بأنه لا يزال مغترباً في إسرائيل، ولم ينس أنه من المهاجرين من الشتات.

أما الأديب المعاصر «أهارون ميجد» (ولد عام ١٩٢٠)، بمدينة « فولتسلفيك» ببولندا، وهاجر إلى فلسطين، عام ١٩٢٦ »، فهو أيضاً، على الرغم من وصوله مهاجراً إلى فلسطين، في سن الطفولة، وهو في الخامسة والنصف من عمره، فإنه يحدد بشكل قاطع انتماءه للشتات، حيث يقول: «إنني شخصياً، أولاً، وقبل كل شيء، لست من مواليد فلسطين، وكنت لفترة قريبة ، أصنف بالطبع ضمن الأشخاص القادمين من الشتات»[١].

وفي موضع آخر، يؤكد على انتمائه الشخصى الحقيقى بعيداً عن إسرائيل التى يشعر بالاغتراب فيها، ويضع نفسه مع يهود الشتات، وبالتحديد يهود بولندا وروسيا، حيث يقول : «لقد كنت أشعر، دائماً، بأني جزء من أسرة كبيرة هى يهود بولندا وروسيا. كانت الصهيونية قائمة على رفض كل شئ فى الشتات»[٢]

ويقول، أيضاً : «في الحقيقة كنت أشعر في قرارة نفسى، حيثما كنت في أى فترة من فترات حياتى، بأنى غريب بين الأطفال في المدرسة، وبين الطلاب في المدرسة الثانوية «الجيمنزيا»، وفي حركة (الشباب)، وفي الكيبوتس»[٣].

وهنا، يؤكد الكاتب على موقف الأيديولوجية الصهيونية بالنسبة لرفض الشتات، وتصفيته لصالح دولة إسرائيل، ويشير إلى فشلها في إتمام عملية الصهر والاندماج.

واستمراراً لهذا التأكيد من قبل الأدباء والمفكرين المهتمين بالشتات في كتاباتهم، وهم «أبيلفلد» فى رواية «حفرة الثلج»، و «ميجد» فى رواية «فويجلمان»، نقف مع الكاتب العراقي الأصل، والوافد من الشتات الشرقي، وبالتحديد العربي، وهو الأديب « سامي ميخائيل»، والذي شارك في هذا التيار، من خلال روايته التى سنتناولها بالبحث، أيضاً، وهى رواية «فكتوريا» (١٩٩٣). وسامي ميخائيل يحتل مكاناً مرموقاً في خريطة

(١)בסר, יעקב: שם, עמ'19.

(٢)מגד, איל: הוציאו על כולנו חוזה , אהרון ואיל מגד, יחסים אחרים, מעריב, מעריב, 23 – 29/ 8 / 1991, עמ'29- 30.

(٣)Eden, Vivan: Op. Cit, p.124

الأدب العبري المعاصر، وخاصة بعد نشر هذه الرواية التى نال عنها عدة جوائز. وقد تطرق سامي ميخائيل في رواياته إلى مشكلة الاضطهاد والتمييز داخل المجتمع الإسرائيلي الذى وصل إلى حد التمييز ضد مجموعة مؤلفى طوائف يهود الشرق، و«تحدد رواية فكتوريا» عدة مفاهيم وقضايا ترتبط بحياة المؤلف.

الأول: هو موضوع عائلى يشبه (مزهر الحمائم المدهش «لإيلى عامير»)، والذي نشر أخيراً بدار نشر «عم عوبيد»، مطابقاً لفكتوريا بالنسبة للسنين، وبمواد الحبكة الأساسية، وهنا نسج «ميخائيل» جذور أسرته المتشعبة، التى ترجع لبداية القرن العشرين، في الجيتو اليهودي الفقير في بغداد، وحتى الهجرة لإسرائيل، والسنوات الأولى بوادى ينسنس . أما **الثانى** فهو ما حدده «ميخائيل»، وقد بدأ، منذ بلوغه التاسعة عشر من عمره، مع ظهور روايته الأولى «متساوون ومتساوون أكثر»، وكان ذلك احتجاجاً معبراً ومباشراً، حيث عرض مظاهر التميز والاضطهاد ضد مجموعة المؤلفين من طوائف الشرق (شمعون بلاص، وايرز بيتون، وجابى بن سمحون، وغيرهم)، تلك المجموعة التى تكونت، في تلك الأيام، واتحدت جيداً بروح المناهضين للمؤسسة العامة التى سادت هناك، في أعقاب حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، حيث أطلقوا عليهم ثورة التحرك على غرار كتاب أشعار بيتون، واعترض «ميخائيل» على غضب الكثيرين، حيث صاح في كتابه الأول «صيحة إسرائيل الثانية». ومن هنا، عرف بالأديب الطائفى»[1].

مصاعب الاستيعاب والارتباط بالشتات:

وحول تناقضات المجتمع الإسرائيلي، وتخبط المهاجرين من الشتات، وخاصة طوائف الشرق، يقول «إيهود بن عيزر» : « مصاعب الاستيعاب في إسرائيل التي وصفت في «رواية فكتوريا»، ولو بدون مرارة، هي تلك التي نمت وازدهرت عن قصة الظلم المخيف الذى أحدثته الصهيونية بشتات بابل بإنزالهم من عظمة العصر الذهبى إلى هاوية المعابر. فنجد «سامي ميخائيل» يوضح أن جذور الأشكنازيم فى المدن الخليعة، والخانقة، والمليئة بالخرافات، ومستوى المعيشة البائس، وبدون مستقبل فى شرق

(١)ריקין, אורי: עולם של קודים דרוויניסטיים, סמי מיכאל, ויקטוריה, מעריב, 2/ 5/ 1993, עמ'8.

أوروبا. وهكذا الحى اليهودي ببغداد، وكانت هناك غرائز وأنماط غير أخلاقية، وأنماط دون مستقبل أساساً، في فترة الحكم التركى الذى سبق العصر الذهبى القصير[1].

ها هي عادات وتقاليد الشرق تقف حجر عثرة في وجه محاولات الانصهار في المجتمع الإسرائيلي المبنى على عادات وتقاليد الغرب المغايرة ، تماماً، لعادات طوائف الشرق.

ورواية فكتوريا مليئة بهذه السلوكيات:-

« عندما استدعت «رفائيل » ليصعد إليها، ساد الصمت أرجاء الحي، إلى حد لا يمكن معه سماع طنين الذباب، دار الحوار بين الجده والحفيد بصوت هامس مكتوم، نزل الفتى بعد ذلك على السلم الضيق البالى، والبهجة بادية على أسارير وجهه. وقفت فكتوريا ومريم ابنة عمها يهودا، الواحدة قرب الأخرى، كانتا في العاشرة من عمريهما، شئ عظيم غمر كيان فكتوريا، وأحست أن هذا الأمر الغريب يغمر مريم كذلك. كانت كلمة الحب تعتبر كلمة فاحشة حتى بين الزوج وزوجته، حين وقفت مع ابنه عمها فوق بلاط الحى القديم، حيث نمت «ميخل»، وترعرعت، ووضعت أبناءها الثلاثة، وحيث شهد وفيات وولادات كثيرة، ولامس كتفها كتف مريم، أدركت في تلك اللحظة أنها أصبحت امرأة»[2].

من الصعوبة بمكان التخلى عن العادات والموروثات، ولكن يمكن ترك شيء منها، تدريجياً، ولكن هنا أراد الكاتب الطائفى «سامى ميخائيل» أن يؤكد على قوة وصلابة هذه العادات، فهو يصف العلاقة بين أطراف العائلة بالمتانة والقوة في الحديث بين الجدة والأحفاد، فيصف جو الحديث وبيئته وطريقته، فيقول: «بصوت هامس ومكتوم،» دلالة على عمق الاحترام بين الصغير والكبير، وهنا السؤال ؟ هل هذا متوفر لدى مهاجرى الشتات الاشكنازى داخل إسرائيل؟ الإجابة لا بد أن تكون بالنفى.

ومن جهة أخرى، يؤكد على جانب اجتماعى آخر في العلاقة بين الشباب، فأراد أن يغلق الباب في هذا الشأن، وهو الحب، فقال «كانت كلمة الحب تعتبر كلمة فاحشة »

(١)בן עזר, אהוד: ויקטוריה היא ניצחון, ויקטוריה מאת סמי מיכאל (1993), הארץ 26/ 3/ 1993, עמ'4.

(٢)מיכאל, סמי, ויקטוריה, ספריה לעם, הוצאת עם עובד, הד«16, תל- אביב , 1996 , עמ'8- 9.

فكلمة فاحشة هى قمة التنافر منها، والبعد عنها، وزاد التأكيد حينما قال: «حتى بين الزوج وزوجته».

ومن هنا، تبدو صورة التمسك بعادات الشتات، وبالتالى صعوبة التأقلم مع عادات وتقاليد الصهيونية الممثلة لهيمنة القيم الاشكنازية.

«كان ظهور روايتى «فكتوريا» « لسامي ميخائيل»، ومزهر الحمائم « لإيلى عامير»، والإقبال الكبير عليهما باعثاً على كتابة عدد غير قليل من المقالات، تتناول الروايتين كوثائق اجتماعية. وبالرغم من ندرة الخيال الأدبى عند كلا الأديبين، فإن الجمهور الذي اعتاد على الأشكال الشرقية التى تقطر زيت زيتون وخلاصة الورود، يرى أنه من الضرورى التعمق في الأفكار الاجتماعية في تلك الروايات عن الأتقياء، والروحانيات، والثقافة، والأحزان المطلقة، وما يهم إسرائيل بالنسبة لثقافة المهاجرين والحاجة إلى إيقاف شعب الطوائف على واحدة من الأمور المهجورة المهمة، وهى تحرير المرأة»[1].

ويؤكد «أهارون أبيلفلد»، في روايته «حفرة الثلج» على الارتباط بالشتات، فيروي لنا عن مجموعة من اليهود في معسكر للعمل على نهر البوج، وهم في أصعب حالاتهم الشاقة، عملياً ونفسياً، يفكرون في عودتهم، بعد الخروج من المعسكر إلى مسقط رأسهم بالقرية، التي كانت مسقط رأس الآباء والأبناء، ولم يدر بخلدهم الفرار أو الهروب إلى مكان آخر، على الرغم من أن حالتهم تسمح لهم بهذا الأسلوب للبحث عن الأمن في مكان آخر، ولكن الكاتب يؤكد هنا على الارتباط بمكان النشأة الأولى.

« عبثا يحاول «بنحاس» و «سالو» أن يغرسا فينا رغبة للأعمال، ويصعب ذلك مع سكوت دكتور «بوخبندر» ، ومع ذلك تكلم المتطوعون التابعون لضباطهم بحده، متهمين إياه، ووصفوه بأنه شريك (ضدهم)، ولم يجد ما يرد به».

« كان صمتاً قوياً، ونحن نجلس لساعات بجوار كومة النار صامتين، وعندما يستمر السكوت، ويسيطر علينا، يقف «بنحاس»، ويحكى لنا عن بيته، وزوجته، وأولاده، يحكى عنهم ببساطة، كما لو كان لم ينفصل عنهم في ظروف صعبة، سوى أنه خرج في

(١)הראבן, גיל (מחזאית ועתונאית): להיות עם חופשי, ידיעות אחרונות , 15/ 4/ 1993, עמ'5.

مهمة تخص قريته، وسيعود إليها في المستقبل، سيعود إلي حياة اليهود بالقرية بين الأغراب، أشجار ومياه، تبدو لى تلك الحياة، تبدو لى الآن، كأسطورة خوف .

سأله أحدهم ؟

وهل تنوى العودة للإقامة فى القرية ؟

آبائى ولدوا هناك، وأنا أيضاً.

قال «بنحاس» بتلك البراءة للولد، ونحن نجلس صامتين، قام دكتور «بوخبندر» على أقدامه، وأمعن النظر حوله، وبحركة رياضي قفز إلى مياه البوج.... (١) .

الغربة وعدم الأمان فى إسرائيل لدى يهود الشتات:

وفي رواية «فويجلمان» يبرز «أهارون ميجد»، فشل الصهيونية في توفير الملاذ الآمن ليهود الشتات داخل إسرائيل، من خلال حوار بين إحدى شخصيات الشتات مع اليهودي الشتاتي الشاعر اليديشى، بطل الرواية «فويجلمان». «رفع »يوسله هفط « كأسه لتحيتي، وارتشف رشفة صغيرة، ومسح فمه بظهر يده، وقال : «أنا لم أعش في إسرائيل، إنني خائف، وأنا أفكر على النحو التالى :

سآتى إلى تل أبيب، وأسير في شوارعها، وسأشعر وكأننى غريب، تماماً، كما هو شعورى بأننى غريب في لندن وفي ستوكهولم، هذا حسن بالذات وربما كان ميزة، أنك تقول لنفسك: كل هؤلاء الذين من حولى لا شيء جديد على الإطلاق بالنسبة لهم، وأنا يا «يوسله» ، أرى ما لا يرونه، أتجول مثل أوزة بين ذكور البط، ولكن في إسرائيل

أنا غريب في إسرائيل ؟

لن تشعر بأنك غريب في إسرائيل .

وعده «فويجلمان»

صدقنى... إنهم جميعا مختونون .... (٢) .

(١)אפלפלד, אהרון: מכרה הקרח, כתר, ירושלים, 1997, עמ'51.

(٢)מגד, אהרון: פויגלמן, עם עובד, תל- אביב, 1987, עמ'115.

فعلى الرغم من تأكيد بطل الرواية «فويجلمان» لصديقة اليهودي بأنه سيكون بين يهود (مختونين) في تل أبيب، أي أن كل من حوله يهود فحسب، بخلاف وجوده في لندن، أو غيرها من دول الشتات، فإنه لم يشعر في قرارة نفسه بغربة الشتات، وأعرب عن خوفه، وشعوره بعدم الأمان في إسرائيل.

ويتساءل نجل «فويجلمان»، وبدهشة شديدة، عن سبب وجود والده الشتاتى في إسرائيل، حيث لم يقتنع بأى مبرر لهذا الوجود ولتلك الزيارة، التي قام بها والده لإسرائيل، وكانت الإجابة، هى البحث عن الدفء العائلى أو الأمان والهدوء، والالتحام مع باقى اليهود، والاندماج معهم تحت ملاذ آمن يعيش فيه اليهود، حسب مخططات الصهيونية، التي يتأكد فشلها في توفير هذا الملاذ الآمن. يقول:

« عن أي شيء كان يبحث والدى هنا (إسرائيل)

لماذا جاء إلى هنا (إسرائيل) في الواقع ؟

لمعت ابتسامه حزينة في عينيه

أجبت : يبحث عن أسرة

هل وجدها ؟

كلا .. لم يجدها .....[1]

إنه بالطبع كان يبحث عن أشياء كثيرة افتقدها في الشتات. وتأتى هنا حنكة الكاتب، حيث أورد جميع هذه الأمور في كلمة واحدة معبرة، وهى « الأسرة »، وتعنى أولاً، وقبل كل شئ، الترابط والألفة، والانسجام، والتعاون، والمحبة، والعيش في هدوء وسكينة، وكانت الإجابة بالنفي، أي أن هذه الأمور جميعا لم يجدها في إسرائيل.

وينتقل «ميجد» في رواية «فويجلمان» من الرمز والإشارة إلى التعرض لفشل الصهيونية في توفير الملاذ الآمن ليهود الشتات في إسرائيل، إلى التصريح بوضوح، والتعبير عن ذلك على لسان أبطال الرواية ممن يعيشون فى الشتات، ومن القاطنين في إسرائيل، وذلك بالمقارنة بين حالة فقدان الأمان في الشتات، وفى مقابلها نفس الشيء في

(١)שם, עמ'115.

إسرائيل. علاوة على التصريح بسبب فقد الأمان، وهو مقاومة العرب، وانتفاضتهم ضد اليهود المحتلين في قرى ومدن فلسطين الواقعة تحت الاحتلال الإسرائيلي، وهو ما عبر عنه المؤلف بالإرهاب العربى (من وجهة نظره).

« ماذا يوجد هنا « إسرائيل »؟

انتظر إجابتى للحظة، وحيث إننى لم أقل شيئاً،

فقد رفع صوته، قائلاً:

إنهم يقتلون اليهود في الجليل، وفي القدس، وفي الخليل، ليس هناك أمان، لا يوجد أمان.

قلت له بعض الأشياء عن «الإرهاب العربى»، ومحاربته .

وبنظره جامدة تعمقت تجاعيد وجهه، وقال بصوت سحيق :

عندنا في « زاموشيتس» قبل الحرب، كانت هناك شوارع في الحى القديم خارج نطاق التجول، كنا نعرف أنه من الخطورة السير فيها، وبخاصة في أيام أعيادهم ، وعندما يخرجون من الكنائس ، أو عندما يكونون سكارى .

كان ينقض عليك، دائماً، عدد من البلطجية بالضرب، بالعصى والسكاكين، وبمعجزة فحسب، يمكنك أن تخرج حياً من بين أيديهم، كان هناك قتيل، كل عدة شهور .

نفس الشيء ... الآن هنا، أيضاً .... إسرائيل .....

فمن غير الممكن أن تسير بحرية. فقد خطفوا جندياً كان واقفاً فى الطريق، وقتلوه في مكان مهجور بالجبال. وخطفوا طفلاً، وعاملوه بقسوة، مثل الحيوانات المفترسة، وأطلقوا الرصاص على المتنزهين في الحقول، وألقوا قنبلة في السوق.

إننى أشاهد الجنازات في التليفزيون، جنازة كل يوم، العدل مفقود، الرحمة عند الله.

إن القلب حزين. .. حزين جداً

قلت إنها إسرائيل .... زاموشيتس»[1].

(١) שם עמ' 245- 246.

إن طرفي الحوار السابق هما « تسفى أربيل » الصبار الإسرائيلي ومدرس التاريخ اليهودي بالجامعة، وهو مدرك للواقع اليهودي بإسرائيل، ومدرك لعدم وجود الأمان وأسبابه، ومن هنا، يأتي صمته في الإجابة على الطرف الثانى في الحوار، وهو « فويجلمان » اليهودي الشتاتى الذي عايش الشتات بكل أطواره وحوادثه، وفترات غليانه ضد اليهود ، فهو يقارن بين حياة اليهود في الشتات في أسوأ ظروفها، والحياة في إسرائيل، في الوقت الراهن.

ومن هنا تبدو الصورة قاتمة جداً في إسرائيل، مبرهنة على فشل الصهيونية ودعاتها، باعتبار أن الدولة هى الملاذ الآمن لكل اليهود. ويعبر صمت «أربيل» عن كونه فاهماً ومدركاً للتاريخ، ولثمن الاستيلاء على أرض عربية فلسطينية، يهُّب أبناؤها للدفاع عنها ضد المحتلين الصهاينة. ومن هنا تؤكد الفقرة:

أ – فقدان الأمن والأمان بإسرائيل.

ب- استمرار توارث مشاعر الخوف في وجدان اليهود.

ج- استمرار انتفاضة الفلسطينيين، ومقاومتهم كأصحاب أرض مع استمرار الاحتلال.

د – اهتزاز شخصية الصبار اليهودي أمام مسلك الصهيونية في إسرائيل.

هـ- إنه لا فرق بين إسرائيل، وما يفتقده اليهودي فيها من أمان، وبين البلدة الشتاتية.

ما ورد آنفاً من محاور تعبر عن فقدان الأمن فى إسرائيل يتأكد على أرض الواقع الحالى، ويبلور رؤية الشباب الصبارى فى فقدان الثقة فى الصهيونية، حيث وضعتهم فى مأزق الدولة، وفى «بوجروم» حقيقى له مبرراته، حيث إن المقاوم الغربى يقاتلهم لاسترداد أرضه وحقه الشرعي.

«بدأت ثورة «تسفى أربيل» بأيديولوجيا إلغاء الذكرى الشمولية المغروسة فى فكرة الشبابى، مع بلوغة الخامسة عشر من عمره، حيث انفصل عن والده، وأقام بجوار (جوش حلب)، ووقع في طبرية هجوم من قبل الشباب العرب على الحى اليهودي، وهنا يقول:«انخرطت وسط هذا الجمهور المشدود فى المنعطف، بين الرجال الخائفين ذوى الوجوه الشاحبة، لا حول لهم، يلتصق هذا بذاك، واحتبست الدموع فى حلقى، دموع

الخجل والإهانة، كما فى بوجروم ـ بكيت فى داخلى، مرت عشرون دقيقة هى فترة الكابوس... لكن ذكرى هذا الخجل والعار لم يمح من قلبي.

على مدى أيام، وفي أعقاب عمل «تسفى» كباحث ومحقق متفرغ للتاريخ اليهودي، كشف عن التشابهات التاريخية، التي تؤكد وحدة المصير اليهودي، التشابه بين البوجروم في طبرية، والبوجروم في زمواشتيس، ويفهم منه كم هو ذلك الخداع الصباري الذى واكب تغير الوصف من يهودي[1] إلى إسرائيلي[2]، وتغيير قاعدة التواجد اليهودي من زمان إلى مكان (في فترة الإحياء القومي، في بداية القرن العشرين، اعتادوا لوصف مسار كهذا كمسار من«الكتاب» إلى دولة اليهود، أعني من روحانية إلى مادية) يكون إعفاء الصبار من مشكلة معاداة السامية، ومن معاناة البوجروم[3].

(١)والكلمة نسبة إلى يهودا أحد أبناء يعقوب الأثنى عشر، أو إلى المنطقة التى أقام فيها سبط يهودا فى منطقة النقب الصحراوية الفقيرة، في جنوب فلسطين، حيث ظهرت أسماء جغرافية تنسب إليهم، مثل «جبل يهودا» (قضاة ١/ ٣)، و«أرض يهودا» او بلاد يهودا (عاموس ٧/ ١٢)، «إقليم يهودا» (إشعياه٢٥/ ٢٨)، و«مدن يهودا» (إرميا ٤/ ١٨). أو نسبة إلى مملكة يهودا في جنوب فلسطين، وقد كثر استعمال لفظة «اليهود» بمعنى رعايا في مملكة يهودا. وقد أصبحت كلمة يهودي تستخدم للإشارة لكل من يؤمن بدين موسى (عليه السلام)، (اليهودية) بغض النظر عن الانتماء الجغرافي لمعتنق هذه الديانة في جعل هذا المصطلح مفرغاً من عنصر الزمان والمكان. للمزيد راجع: الشامي، رشاد عبد الله (دكتور): العبرانيون وبنو إسرائيل، المرجع السابق، ص٢٢- ٢٣.

(٢)تنسب هذه التسمية إلى سيدنا يعقوب (عليه السلام)، حيث ترد فى التوراة قصة مفادها أنه خاض عراكاً ضد رجل حتى مطلع الفجر عند جدول صغير فى منطقة الأردن يدعى «يبوق»، ولما رأى الرجل انه لا يقدر عليه، طلب منه أن يطلقه، فقال له لا أطلقك حتى تباركنى، فباركه وقال له لن يدعى اسمك يعقوب من بعد، بل إسرائيل، لأنك صارعت الله والناس وغلبت، ولفظة إسرائيل مكونة من كلمتين ساميتين قديمتين هما«إسر» بمعنى غلب، و«إيل» وتعنى الإله أو الله. وفى أدبيات التلمود أصبح المصطلح «إسرائيل» يطبق على العامة من الشعب على وجه الخصوص. وعندما أعلنت الصهيونية عن قيام دولتها فى فلسطين، ١٥ مايو ١٩٤٨م، أطلقت عليها اسم إسرائيل. وقد أصبح اليهودي المقيم خارج فلسطين، وفقاً لقانون العودة الصادر فى ٥ يوليه ١٩٥٠م هو الآخر إسرائيلياً. والخلاصة هى أن «الإسرائيلي» وفق هذا المفهوم هو أولاً وأخيراً، اليهودي المقيم في إسرائيل، واليهودي المقيم خارجها، أيضاً، بشرط أن يكون صهيونياً متمسكاً بالولاء لإسرائيل. للمزيد راجع، المرجع السابق، ص١٩: ٢٢.

(٣)אורן, יוסף: הצבר חוזר אל הזהות היהודית, אהרון מגד, פויגלמן, ידיעות אחרונות, 23/ 10/ 1978, עמ'25.

وينتقد « وارونج » (إحدى شخصيات رواية فويجلمان، وهو نجل لبطل الرواية الشتاتى) دولة إسرائيل فى عدم توفيرها أبسط رسائل الراحة العامة، مع إيمانه بموطنه في الشتات بالغرب، ولا يرى حاجة لوجود والده في مكان (إسرائيل) مرفوض من جانبه، اجتماعياً وسياسياً، حيث يقول:

«ولكن لا يوجد عندكم دورات مياه عامة، لقد تجولت هنا بالمدينة، ولم أتمكن من العثور على دورة مياه واحدة – إنها قلعة بدون دورة مياه – بدت من فمه ابتسامة خفيفة ورقيقة، تعجبت منه»[1].

إن المحاور في الفقرة السابقة هو «ارونج » نجل «فويجلمان» الشتاتى، وهو يعشق الغرب وثقافته، وينتقد بشدة دولة إسرائيل وتوجهاتها، ولا يرى فيها الغاية المنشودة لليهود، ويفضل الشتات. ومن هنا، جاءت انتقاداته كما حددها الكاتب، وكأنه لا تربطه أى صله دم بهؤلاء اليهود في إسرائيل. بل إنه أكثر من ذلك، لا يرغب في هذه الصلة، ووصف إسرائيل بأنها قلعة مغلقة محصنة، أى تفتقر للإنسانيات. وأشار الكاتب بسخرية بالغة إلى قول الشاب، بأنه لم يعثر على دورات مياه عامة في الشوارع، على الرغم من هذا الصرح الكبير. وهنا يأتى الرمز إلى مادية الدولة وعنفها دون الالتفات للمظاهر الإنسانية والأمان والهدوء المنشود. ومن هنا، فإنه ينحاز إلى حياة الشتات فى الغرب وبريقها، في الوقت الراهن، مقابل افتقار إسرائيل لهذا كله.

وفي رواية «فكتوريا»، نجد التعبير عن البيئة والواقع الشرقى في العراق، والتطبع بعادات وتقاليد لا يمكن التنازل عنها، حتى بعد الهجرة إلى « إسرائيل »، حيث يصف «سامي ميخائيل» اليهود الشرقيين، تقريباً، مثل سائر العرب الذين يعيشون بينهم، مع القليل من العلامات التقليدية اليهودية (فى مقابل يهود المغرب، سوريا، أو اليمن، الذين يتأكد بهم الطابع الدينى اليهودي التقليدي بشكل زائد)، باستثناء الزواج، ودفن الموتى. وإذا عثرنا فى الرواية على أمور تتعلق بالعبادة، فهي مرتبطة بالحاخام «جورى شتايات» الذى هو مشعوذ أكثر منه دجال. وفيما يتعلق بغالبية الطائفة، فمعظم، أبطال الرواية يحملون أسماء عربية، ويتحدثون العربية، ويحلفون بالله، وملابسهم، ومأكلهم،

(١)אהרון מגד, פויגלמן, שם, עמ'16- 17.

وسلوكهم واقعي، مثل جيرانهم المسلمين الذين يعيشون بينهم. وقد ظلمت سلطة رب الأسرة المرأة، وحطت من مكانتها فى محيط الأسرة. ولكن رغم تدنى منزلة ربة المنزل أصبح لها دورها المميز، فهى أم الأسرة مثل ميخال، نجية أو عزيزة (جميلة جميلات الحى) فهى مسئولة عن طلبات البيت والطهى. ولها كلمتها ويأخذ الرجال برأيها. وفى المقابل البنات والشابات الصغيرات، مثل فكتوريا أو مريم، فمنزلتهن متدنية جداً، ومكانهن وراء أوانى الطهى بالمطبخ، الرجل هو السيد، مثل عزورى (الثرى)، وهو الممول الرئيسي للحى»[1].

وها هو «سامي ميخائيل»، يفخر بطائفته فى العراق، ويشيد بدورها الثقافي، ومكانتها الرفيعة فى بغداد. بقوله:« بغداد راسخة فى مكانها منذ ألف عام، وتلك المدينة الكبيرة التى تطورت عن قرية نائية فى أطراف الإمبراطورية الساسانية، تدين بالكثير لآباء «فكتوريا»، لقد ساهم الأطباء، والعلماء، والمفكرون، والسياسيون والأدباء اليهود مساهة كبيرة في بلورة الحضارة العربية التى نشأت هناك.

ولكن أجيالا من الغزاة، والفيضانات، والأوبئة، والملاحقات، والمذابح، لم تعمل فحسب، على إضعاف القوى الروحية للطائفة اليهودية، بل جعلتها تفقد ذاكرتها. وقد انزوى اليهود كذلك في حى ضيق جداً، فولد الكثير منهم، وكبروا ثم هرموا وماتوا، دون أن يغادروه. تلك الطائفة التى ألف أجدادها التلمود البابلى، وطفقت طموحاتهم الأفاق، وتقلصت آفاقها إلى حد كبير.

يوم اجتازت فكتوريا النهر من على الجسر. ومحيت الأعوام الألف هذه من وعيها، كما سويت بوجه الأرض قبور آبائها القديمة، التى كانت عبارة عن أكوام من التراب»[2].

وكانت اللغة العربية التى جرت على لسانها لغة حضرية قديمة ورقيقة، بخلاف اللهجة العربية الدينية، التي قدمت منذ عهد ليس ببعيد من الصحراء إلى الأماكن التى أصبحت خراباً، وفقدت خصوبتها».

(١)וילף, מיכאל: סמי מיכאל, ויקטוריה, מוסף מעריב, 3/ 4/ 1993, עמ'8.

(٢)סמי מיכאל, ויקטוריה, עמ'59.

يعطى الكاتب انطباعا بالفخر بالطائفة اليهودية في بغداد، حيث ساهمت بنصيب كبير في سمو وازدهار الحضارة العربية بالعراق، ويرجع ضعف الطائفة وانحطاطها لأسباب خارجية، تتمثل في الغزو من الخارج، وكان مصيرها كمصير دولة الشتات العراقية، في مجملها، كما يرجع انحطاطها، أيضاً، إلى أسباب طبيعية عامة، مثل الفيضانات والأوبئة التى تعرضت لها المنطقة كلها. بخلاف ذلك تعد الطائفة مفخرة في ذاكرة كل يهودى عراقى هاجر لإسرائيل، وكانت للهجرة سلبياتها المتمثلة في إغفال ألف عام مزدهرة في الشتات، وهذا إغفال معنوى، أما المادى فيتمثل في محو قبور الآباء والأجداد القديمة، التي كانت هناك. ولكن بطلة الرواية « فكتوريا » تحمل معها تراثها، وعاداتها، وتقاليدها، وأيضاً، لغتها العربية، وهى اللهجة العراقية، وليست الفصحى العربية (المشار إليها بالإسلامية). وهذه اللهجة من القوة والثبات بحيث لا تنساها أبدا، وبالتالى تستمر معها في إسرائيل، وتورِّثها لأجيالها من بعدها. ومن هنا، يأتي التمسك بالعادات والتقاليد، والموروثات الشرقية، التي تميز يهود الشرق وتقف عقبة في سبيل الاندماج والصهر مع الطوائف الأخرى المكونة للمجتمع الإسرائيلي.

«تنبع قوة رواية « فكتوريا »، فى شجاعة المؤلف في إزاحة القناع عن موضوع الحنين للوطن (الشتات) المتأصل من الماضى، وإظهار جوانبه الأقل رومانسية، فيما يتعلق بثقافة الشرق، بدلاً من موقف الدمار النموذجى بصيغة: (عندنا، أيضاً، تقاليد محترمة بإسرائيل)، ومطلوب التفضل بالاعتراف بها. اختار «ميخائيل» في وصفه نواحى غير مزينة مما هو معروف من ماضيه المتاح ليبرهن للعالم بأنه مساو مثلهم، تماماً »[1] .

ويشير سامي ميخائيل إلى تراث الشتات اليهودي وألوانه المختلفة من شتى أنحاء العالم، وناتجه فى إسرائيل من الأبناء والأحفاد الذين يحملون ألوان مواطنهم الأولى، وعاداتها وتقاليدها، ومن ثم يحملون انتماءهم لهذا الشتات. فيقول:«انتقلت عيناها بسرعة بين أبناء الأحفاد المنتشرين فى الشقة، هذا المزيج الرائع من الجينات العراقية، والمصرية، والبولندية، والسورية، والهولندية، والبلغارية. عيون خضراء فى وجوه سمراء، خصل شعر ذهبية تتوج عيوناً من المخمل البنى، صلابة شمال أطلسية تلامس

(١)ריקין, אורי: שם, עמ'8.

رقة وادى النيل»[1].

ولقد كان الأمل المنشود هو أن يحدث اندماج بين مختلف أبناء الشتات، من أشكناز وسفاراديم، وهذا ما أشار إليه الكاتب بحديثه عن الأحفاد. ولكن تبقى التفرقة والاضطهاد ما بين الطوائف الشرقية والغربية، وحتى بعد مرور سنين، على مرورهم جميعاً بمرحلة (المعبراه).

«كنا نتحدث عن «المعبراه» غمغم أصغر أبنائها الذى كانت ملامحه قريبة الشبه بملامح أبيه، لقد مزقتهم مفرمة تلك الأيام، ورغم ذلك فقد خرج من هناك جراحون وأساتذة جامعات، وهناك جنرالات فى الجيش نشأوا فى «المعبراه»، فلماذا لم يكمل أى منا تعليمه الجامعي».

يشير الكاتب الطائفى الشرقى سامي ميخائيل، إلى المصاعب التى مرت بها طائفته من خلال حديث فكتوريا (بطلة رواية فكتوريا)، وأبنائها، وأحفادها عن ذكريات سنين الشقاء بعد الهجرة من العراق إلى إسرائيل، فقد تدنى مستواهم الوظيفى والتعليمي، مقابل شتات الاشكنازيم الذين أكملوا دراستهم، وأصبحوا في مراكز مرموقة، في مقابل أبناء الطائفة الشرقية (لم يكمل أى منهم تعليمه الجامعى)، الذين حرموا من تقلد مناصب، وشغل أماكن على غرار الأشكنازيم الذين ينعمون بالرخاء والرفاهية.

ويعبر سامي ميخائيل، في مواضع كثيرة من رواية فكتوريا عن الحنين والارتباط بالشتات، وهذا الارتباط العاطفى بالشرق، «ومن ينقب عن سياسة، أو أيديولوجية، أو فولكلور، أو دين، أو عصيان الرب، أو الموضوع الإثنى (عراقيون فى مقابل إشكنازيم فى أيام المعابر)، عليه أن يقرأ هذه الرواية (فكتوريا) [2].

وتواصل فيكتوريا حديث المقارنة بين الوافدين من الشتات الغربى وبين شتاتهم الشرقى، فتقول عن الإشكنازيم:« أنهم ينعمون بالرخاء والرفاهية، ويكفى أن ترى شققهم، إنها تتحسن عاماً بعد عام، أولادهم يتمتعون ببنية قوية، ويتفوق كثير منهم فى

(١)מיכאל, סמי: שם, עמ'206.

(٢)זן, נחן: לדעת אשה, ויקטוריה, מאת סמי מיכאל, היא התרומה הנכבדה ביותר שיכלה התרבות הישראלית להרים ליום האשה הבינלאומי, מעריב, 11/ 3/ 1993, עמ'5.

الدراسة. والتفتت فى صمت إلى ألبير الميال للصمت، والذى أسند خده على رأس حفيدته، وانتظرت منه أن يشرح لأخيه، بمنطقه المعتاد، دوامة حياتها، لكنه ظل صامتاً.

فتساءلت بتعجب:«أهذا ما تحسونه، وهو أنكم بقيتم فى المؤخرة »فقال ابن آخر وهو ينفث دخان سيجارته فى سخط:«بالتأكيد»[١].

وهنا يبدو الرفض لما وصلوا له من حال، بعد مرور سنوات من هجرة الأجداد والآباء، حيث الأحفاد «فى المؤخرة» يعيشون فى إسرائيل كطوائف شرقية، وضعهم الاجتماعى متدن للغاية، مقابل الأشكنازيم. وتدافع الجدة (فيكتوريا) عن وضع أبنائها وأحفادها، بقولها :«كان علينا أن نعيش وننجو من الجوع. لم يكن ثمة مناص من ذلك. هل كان بوسع القروش الحقيرة التى كنا نأتى بها أن ننقذ الوضع»[٢].

وتبقى مصاعب الاستيعاب لدى الأجداد والأبناء، وتستمر بذكرياتها وآثارها مع الأحفاد والشباب الذى ينتظر منهم الاندماج مع أقرانهم الصباريم فى إسرائيل، حسب الرؤى الصهيونية. ومن هنا، يتأكد الفشل الصهيوني في محاولة استيعاب الوافدين من الشتات، على مختلف ثقافاتهم، وصهرهم. فهاهم أحفاد الطوائف الشرقية يتجرعون سم ومصاعب المعابر، وقسوة العيش، وهذا ما جاء على لسان أحد شباب الطائفة العراقية، حيث يقول:

«كم كان عمرنا؟ مجرد أولاد، وأرسلتنا (جدته) عنوة إلى سوق العمل القذرة، بين تل أبيب ويافا، فى الأمسيات كنا متعبين للغاية، لدرجة أننا لم ندرك أننا نبدد زهرة شبابنا. وبدلاً من أن نخرج لاستنشاق الهواء، كنتِ ترغميننا على تربية الدجاج، وزرع اللوبيا حول الخيمة»[٣].

ويستمر الإحساس بالمرارة بعد الهجرة من الشتات مع استمرار المعاناة والشعور بالدونية فى مجتمعهم الجديد. فها هى الجدة تواسي نفسها أمام أحفادها، وتقول:

« أفخر سجادة يبدأون بها هكذا، خيطاً بعد خيط»، قالت هذا وقبّلت جبين الصغيرة،

(١)מיכאל, סמי: שם, עמ'206.

(٢)שם, ואותו עמוד.

(٣)שם, עמ' 207.

التي نامت وهي في حضنها، ثم رفعتها ونهضت، ولم تطلب من أحد أن يفتح لها باب الصالة، بل فتحته بقواها الذاتية، مستعينة بكوعها وركبتها، بعناد عجوز في الخامسة والثمانين من عمرها، وضعت البنت على الفراش، وغطتها وانهارت بجانبها، وبصعوبة حبست دموعها. إن طعم ذلك العلقم مازال في فمها، منذ أكثر من ستين عاماً »[1].

وهكذا يتوارث الأحفاد عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم، من خلال ذكريات الآباء والأجداد، علاوة على ذكريات المعابر، والمشاق، وسوء المعاملة، واستمرارها بآثارها السلبية على حياتهم الراهنة.

ويستمر الصراع سجالاً بين الأشكنازيم والسفارديم حول دور كل منهم في إسرائيل، بعد النزوح من الشتات، ففي الوقت الذي يرى فيه السفارديم أنهم قد ظلموا، يرى الأشكنازيم أن دورهم هو الأجدر بالسمو لما لهم من مكانة وإمكانات من دول غرب أوروبا، غرباً وشرقاً، في مقابل تدني مستوى السفارديم في شتاتهم، وبالتالي في إسرائيل «فيما يتعلق بالثقافة التي دمرت بالنسبة ليهود الشتات الإسلامي، إبان هجرتهم لإسرائيل، والمؤامرة الأشكنازية الشيطانية لمحو تلك الثقافة. يقول جرنر موشيه، في مقال له: «في هذا الموضوع أريد أن أسأل سامي شطريت، عدداً من الأسئلة، حتى أكون على بينة، ما عدد الأدباء العبريين الذين قدموا من كردستان، ومن اليمن، وجبال طوروس؟ كم مبدع، وباحث، وأستاذ، كم ممثل مسرحي؟ أرجو أن يتفضل سامي ميخائيل، بتوضيح هذا الأمر بعدسة مكبرة. فحتى السبعينيات لم يعثر إلا على عدد ضئيل من الأدباء، أو آبائهم من غير المهاجرين من أوروبا مثل بورلا، وطبيب، فحسب كلامه، يبدو أن هناك مئات، بل وآلاف من الأدباء المشهورين. وهذه حيلة مضللة، وتم إسكاتهم، وربما كان الأشكنازيم ظالمين ومخادعين، كما وصفهم سامي، ولكن ليس في الإمكان إسكات بياليك، وتشرنحوفسكي، وبرينر، وألترمان»[2].

وفي مقابل إيجابيات الاشكنازيم، ومساهمتهم حسب دفاع الكاتب، يورد سلبيات الطائفة العراقية، حيث يقول:« بقراءة رواية فكتوريا لسامي ميخائيل، من الصعوبة

(١)שם, ואותו עמוד.

(٢)גרנר, משה (ד«ר): מחיקון ציוני אשכנזי- תגובה, מאזנים, ירחון לספרות, כ«א, גליון 8, עמ'49.

بمكان أن أقول إنه قبل عشرات السنين، كان الحال فى تلك الأماكن (الشتات اليهودي في العراق)، أحسن مما هم فيه، الآن. حيث يصف سامي ميخائيل الطائفة اليهودية فى بغداد من نساء ومعظم الرجال بأنهم فى حالة من الأمية (صفحات ١٩٣، ١٩٦، ٢٠٥، ٢١٤، ٢١٥)[١].

وعلى هذا تبقى الأولوية للأشكنازيم فى السبق والريادة فى دولة إسرائيل، وأن الطوائف الشرقية يكفيهم ما هم عليه اليوم.

ويستمر كاتب المقال فى الرد على سامي ميخائيل، بفخره بالأشكنازيم ومكانتهم فى الشتات، وإسرائيل، فيقول:« أنا أرى فيهم الفنانين الذين يعبرون عنى، وأفخر بإنجازاتهم فى إسرائيل، وفى العالم، حيث إنهم ليسوا من اليمن، ولكن إسرائيليين. ولكن سامي ميخائيل، معنى بمهاجرى كردستان، وبالطبع مهاجرى المغرب. تذكرت الجنرالات، لم يكن هناك جنرالات فى اليمن، ولا فى باقى الدول العربية، ولكن خلال عقد واحد خرج من بين المهاجرين، من تلك البلاد (الشتات الإشكنازى) ضباط كبار وجنرالات، فخر للشعب الإسرائيلي». وللإثبات اذكر هنا فحسب، في الاتحاد السوفييتى (السابق)، لأيام الحرب العالمية الثانية، كان بالجيش الأحمر ٣٠٥ جنرالات يهود. وشارك نصف مليون جندى يهودى فى حرب النازية. وسقط من بينهم قتلى ٤٠٢٠٠.٠٠. وكان هناك ضباط وجنود فى باقى الدول الأوروبية، وبالطبع فى الولايات المتحدة الأمريكية»[٢].

ويواصل دفاعه عن دور الأشكنازيم، في الوقت الراهن، في بناء إسرائيل وجيشها: «فمع هذا المخزون من القوات العسكرية المدربة، فلا عجب أن قوات (الدفاع العبرية) تم تأسيسها، في البداية، من مهاجرى أوروبا (ترومبلدور، وموشيه سناه، وسقوف، وزيجل، وأيضاً، عزرا فيتسمان، كانوا ضباطاً فى الجيوش الأوروبية قبل انضمامهم «لقوات الدفاع العبرية» تكون سلاح الجو الإسرائيلي، في بداياته، من متطوعي الخارج من مهاجرى شمال أمريكا وأوروبا، لم يأت إلى إسرائيل أي طيار من إيران. وهنا (إسرائيل) تحت الحكم

(١)שם, עמ'49.

(٢)שם, עמ'49.

الأشكنازى الظالم، تم تعيين قائد للسلاح الجوى من أصل إيراني»[1].

وما يعنينا هنا ليس دور الأشكنازيم المبالغ فيه، أو دور السفارديم الذين يشعرون بالظلم، ولكن يعنينا فى المقام الأول، استمرار الصراع بين الطرفين، وفقدان الثقة فى أدوارهم، مع عدم اعتراف كل طرف بمكانة ثقافة الآخر الوافدة من الشتات، والتى تتعدى دور المشاركة فى البناء والاعتراف المتبادل والتلاحم المفقودين، على الدوام. ومن هنا، يستمر الصراع المرصود أدبياً فى الأدب الروائى المعاصر، سواء عند أدباء الشتات الغربى أو الشرقي.

والسؤال ، كيف تكون التقاليد الشتاتية الغربية والأشكنازية فى مقابل تلك العادات الواردة من الشتات والطوائف الشرقية؟ ففى رواية «فكتوريا» يتعرض الكاتب لنموذج اجتماعى بسيط جداً من عادات الشرق، وهو إبراز هيبة الوالد، وخجل الابن من التدخين أمامه، وهذا النموذج البسيط ما هو إلا دلالة على عادات الشرق، التي لها خصوصيتها، بالمقارنة بعادات الأشكنازيم.

«بدأ عزرا فى التدخين، ولكن فى السر حيث إنه يخجل من والده. جلس بجانب مراد وأخذ نفساً من السيجارة، وضع السيجارة بين أسنانه ، ضرب كفاً بكف، وقال لابن عمه: أنت تشتم؟

استنشق مراد حوله بحذر ، أنا لا أشتم على الإطلاق»؟[2]

وهذه العادات والتقاليد نابعة من الشرق والمجتمعات العربية، وقد اكتسبها اليهود، وأصبحت تجرى فى عروقهم مجرى الدم، منذ القدم، ولا يمكن التخلى عنها على الإطلاق، بل أصبحت مرتبطة بسلوكياتهم وأعيادهم اليهودية، وبالتالي لا يمكن التخلى عنها فى المجتمع الإسرائيلي، «فقد ساد نمط رحب جداً فى محيط يهود بابل، وهو نمط الزيارة فى عيد الأسابيع[3] لأضرحة الأولياء فى العراق، وهذه الزيارة يطلق عليها يهود

(١)שם, עמ'49.

(٢)מיכאל, סמי: שם, עמ'89.

(٣)ويعرف عيد الأسابيع بأسماء كثيرة أهمها«عيد الأسابيع»، و«عيد الحصاد»، و«عيد الحج»، و«عيد نزول التوراة»، ويقع هذا العيد بعد خمسين يوماً من صباح اليوم التالى ليوم السبت الداخل فى «عيد الفصح».=

العراق، اسم زيارة (بالعربية)، ومن هنا أطلقوا على عيد الأسابيع (عيد الزيارة) زيارة أضرحة الأولياء، وهو أسلوب قديم جداً فى بابل، منذ أيام الجاؤنيم فى القرن العاشر وحتى اليوم . ويوجد فى بابل ثلاثة أضرحة للأولياء: ضريح حزقيال النبى، وضريح عزرا الكاتب، ويهوشوع كوهين جادول»[1].

ومع تأثر الطائفة اليهودية فى العراق بالعادات والتقاليد الشرقية والاندماج فى صلب الثقافة العربية، كان للطائفة دورها ثقافياً وسياسياً، وحدث تطور فى بنيان الطائفة، من حيث العدد[2]، والنظام السياسي، والاجتماعي »، ففي عام ١٨٤٩، أصبحت سلطة الطائفة تحت إمره الحاخام باشى، الحاخام الرئيسى المعين من قبل السلطة التركية بتوصية الحاخام الرئيسى «للقسطنطينية». وفي عام ١٨٦٣م، تم إنشاء المطبعة العبرية الأولى ببغداد، حيث تم طبع صحيفة (هدوبير)، وفي عام ١٨٦٤ ، تم تأسيس مدرسة (كل يسرائيل حبريم) ببغداد، بداية للتعليم الحديث. وفي عام ١٨٦٦ ، طبع أول كتاب عبرى ببغداد، وطبعت صحف عبرية، وبمرور السنوات، تم طبع أكثر من ٥٠٠ كتاب

=ويحتفل اليهود بهذا العيد عن طريق الصلوات، والتطهر، وقراءة الوصايا العشر التى تتضمن مجمل القصيدة اليهودية. وقد اعتاد اليهود على فرش العشب فى المعبد والمنازل فى عيد الأسابيع، تخليداً لذكرى نزول التوراة. وقد شدد الحسيديم على هذه العادة بصفة خاصة. وكان الكثيرون يعتقدون أن هذه العادة عادة قديمة كذكرى للعلاقة بين عيد نزول التوراة وعيد بواكير الثمر. للمزيد راجع: الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ٢٠٠٢؛ الشامي، رشاد عبد الله (دكتور)، أبو المجد، ليلى (دكتور): التلمود ـ أصله وتسلسله وآدابه، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤، ص١١١.

(١)שטאל, אברהם: עדות ישראל, כרך, א, עם עובד 1978,עמ'204.

(٢)تطور الطائفة اليهودية بالعراق من حيث العدد، «في عام ١٨٦٠، سجلت زيادة غير عادية فى عدد اليهود فى بغداد، حوالي ٢٠.٠٠٠، وفى عام ١٨٨٤م، ٣٠.٠٠٠، وفى عام ١٩٠٩، سجلت ٥٠.٠٠٠، وفى عام ١٩٢٠م، سجل التعداد فى العراق ٦٠٠٠ ـ ٧٠٠٠ يهودى فى كل واحدة من المدن التالية: الموصل، البصرة، الديوانية، وكان اليهود فى زيادة مضطردة فى العراق، حيث وصل عددهم إلى ١٥٠.٠٠٠ عام ١٩٤٥م. وبين عامى ١٩٥٠ ـ ١٩٥١م كانت الهجرة الكبرى من العراق إلى إسرائيل، بمصادقة حكومة العراق ١٠٠.٠٠٠ يهودي، وبقى هناك ٥.٠٠٠ يهودى فقط، وفى عام ١٩٧٢م، بلغ عدد اليهود فى إسرائيل بالإضافة لمواليد من آباء من العراق حوالى ٢٤٠.٠٠٠. وحسب التقديرات فإن حوالى ٤٠.٠٠٠ من هؤلاء اليهود قادمين من كردستان العراق. للمزيد راجع: שטאל, אברהם: עדות ישראל, שם, עמ'277.

وكراسة في بغداد» [1].

وعلى قدر ما كانت الطائفة العراقية متمتعة بالتسامح في شتاتها، وهو ما أدى بها إلى هذا التقدم والسمو في جميع النواحي، كانت صدمتها القاسية في اللحظات الأولى لوصول أبنائها لإسرائيل، ومن هنا شعروا بالندم والحزن على ما كان لهم من مجد واحترام افتقدوه للأبد .

وهذا ما عبر عنه « سامي ميخائيل » في كتاباته الروائية.

فها هو يصف اللحظات المهينة الأولى مع وصول مجموعة من يهود العراق، وكان على رأسهم والده « شاهدت والدى من وراء السحب يرفع يده تجاه عامل الرش بالمبيدات (بودرة بيضاء)، وكانت تلك حركة احتجاج صامته حزينة، دخل المسحوق فمه المفتوح، من هول المفاجأة، وامتلأ شعر رأسه وشاربه، وأهدابه، بيضاء اللون، ورابطه عنقه الحرير، والقميص المنشى، والبدلة الممتازة بسحابات الرزاز، وكانت لحظة مهينة دون تحية استقبال بأية كلمة، وتصرفوا معه كما لو كان قادما على رأس قطيع من الحيوانات. تهيأ والدى لصراعه الأخير للمحافظة على احترامه الشخصى على وجه الأرض، ورفض العطس، وسالت الدموع من عينيه. بدت ملامح وجهه كخليط معذب سكير، وظهر كل شئ قبيحاً، قبحاً يؤدى للمرض، كما لو كان سكيراً تلقى ضرباً، ثم صعد والدى إلى الشاحنة، واستندت عليه والدتى، وتحركت بنا الشاحنة متهادية لمدة ساعتين، كانتا بمثابة دهر أو أبد الآبدين، وعلى باب المعبرة تم حشرنا في كشك كبير»[2].

وتتكامل خيوط المهانة داخل المعبرة لحظة توزيع العمل على القادمين الجدد، فيقول: « تطلعت في البطاقة الخاصة بوالدى .... وقلت : لا يمكنك يا والدى القيام بهذا العمل .. قال: ما هو المكتوب ؟ تذكرت مكتب والدى ببغداد ... كان مدير حسابات يمسك الدفاتر، ويرأس موظفين، وتذكرت تعليماته للبستانى عندنا. اختنقت فى حلقى، قلت يا والدى هذا لا يخصك .... غضب والدى .... ما هذا؟ ..... العمل عبارة عن

(١)שטאל, אברהם: שם, עמ'278.

(٢)יער, אפרים, וליסק, משה, ושפירא, רינה: דפוסי חברה בישראל, מגמות ליכוד ופרוד, יחידה 43, האוניברסיטה הפתוחה, (תל- אביב 1983), עמ'18– 19.

إزالة الأعشاب الضارة من على جانبى الطريق بالفأس ..... تلعثمت ... طوى والدى بحرص البطاقة ووضعها في جيب سترته، كل حركاته محسوبة ... وتعبيرات حواسه كلها احترام»[1].

وفي رواية «فويجلمان»، يتساءل الشاب الشتاتى « إروينج» (نجل فويجلمان) - الذى ولد وتربى في الغرب، وينحاز للغرب وثقافته - عما رآه في إسرائيل، عند زيارته الوحيدة لها من أمور غريبة تتعلق بسلوكيات الإسرائيليين، وغرابتها بالنسبة له.

وتساءل، وأجاب نفسه .

هل هذا نابع من الوراثة ؟

في الواقع اليهود كثيرو الضجيج والصخب ،ولكن بداخلهم رعباً وخوفاً وخشية وحذراً تجاه الآخرين .

«من أين يأتى هذا التوجه للإسرائيليين ؟

طلب إروينج توضيحاً .

هل هذا نابع من صفحات اليهود الأسلاف ؟

لكن . لا . اليهود في الواقع كثيرو الضجيج والصخب.

ولكن تجاه الغرباء فبداخلهم رعب ربما خوف، أيضاً، أيا كان.... هل هذا خط خاص بالجيل الجديد الذى ترعرع هنا، على تلك الأرض ؟[2] .

. ويتساءل الشباب عن تلك المشاعر المتعلقة بالشباب الذين ولدوا وتربوا في إسرائيل، ووصفهم بالجيل الجديد (الجيل الصبارى)، حيث تربى على مبادئ الصهيونية وأيديولوجياتها .

ومن خلال الفقرة، يقول الشاب الشتاتى : على تلك الأرض ؟».

مشيراً للمكان بعد أن حدد الزمان، وهو الجيل الجديد. ومن خلال علامة

(١)יער, אפרים ואחרים: שם, עמ'29 – 31.

(٢)מגד, אהרון: שם, עמ'91.

الاستفهام، نفهم من ثنايا الحديث استنكاره، لتلك السلوكيات الشبابية الإسرائيلية على تلك الأرض، لأنها ليست أرضهم، ومن هنا، ينمو الرعب والخوف، وتصبح تلك الصفات غالبة لهذا الجيل الجديد، خشية وتحسباً، والخوف والتحسب من أصحاب تلك الأرض الحقيقيين، وهم الفلسطينيين.

وتعد ثقافة الشتات محل فخر واعتزاز وتمسك من قبل اليهودي الشتاتى، حيث يفخر «فيسبرد» أحد أبطال رواية «فويجلمان» بنسبه الشتاتى وبثقافته، أيضاً.

«ورداً على أسئلتي، روى بأنه » ورشائى (من وارسو)، وخلال سنوات الحرب، اشتغل في كازاخستان، وبعد ذلك في موسكو، وهناك نشر روايات ومقالات في «اينيكيت»، وفي «هيملاند»، ثم عاد إلى بولندا، وأقام بها حتى عام ١٩٥٦، وهناك نشر أيضا، في «ييديش شريقتين»، وفي «فيلكس شتيم»، ومنذ ذلك الحين - يوم أن رأى أنه ليس هناك أية مستقبل لمعيشة اليهود في تلك البلاد - أقام بباريس - ما كان لن يتكرر، لخَّص أحاديثه، ولزم الصمت، وبعد تلك المرثية من الواجب الشراب، حاولت «هندة» إنعاش الجو، ورفعت كأسها، ولكن «فيسبرد» لم يلمس كأسه، وتوجه إلىّ ، وقال: أنا أعرف أنه يوجد أدب عبرى بإسرائيل، وأيضاً، أتذكر قليلاً من القراءة، يوجد عندكم معاهد، دار الأدب ومقاهي، يلتقي بها الأدباء، ولكن الذي كان في «وارسو»، قبل الحرب، لا شبيه له فى إسرائيل، ولن يكون له مثيل أبدا »[1].

تبرز الفقرة السابقة حياة طبيعية ليهودي في شتاته، حيث يبدأ حديثه بافتخاره بنسبه إلى «وارسو»، بقوله إنه من وارسو معبراً عن اعتزازه بمكان ولادته، ونشأته، وإقامته، وجذوره الأولى. ثم الحديث عن أسلوب حياته العادية، حيث يقوم بنشر مقالاته وكتاباته في مختلف الصحف والجرائد في دول مختلفة بالشتات. وفي عام ١٩٥٦ م، عندما ساءت الأحوال، وأصبح هناك قلق يخص مستقبل اليهود، لم يفكر في الهجرة إلى إسرائيل، وإنما توجه إلى فرنسا.

وعندما جاء دور المقارنة بين ثقافة الشتات، والثقافة والأدب في إسرائيل، اعترف بحجم الأدب الموجود على الساحة بإسرائيل، ووجود العديد من الأماكن الخاصة

(١) שם ראותו עמ' 113 - 114.

بالأدب والأدباء. ولكن في النهاية، لم يجد وجهاً للمقارنة مع أدب وثقافة الشتات، وخاصة فى «وارسو»، قبل الحرب، وأعرب بأسلوب قاطع، أن الأدب في إسرائيل لم ولن يصل إلى ما كان عليه الأدب في «وارسو» ، قبل الحرب.

، تحمل الفقرة إشكالية الهوية والانتماء، بصورة مؤكدة، وذلك في الخطاب الصادر من قبل اليهودي الشتاتي، بصيغة الخطاب في كلمة « يوجد عندكم، والمقابل لكلمة عندكم، هي كلمة: «عندنا» .

وهذا الأسلوب، يدلل على التباعد الثقافى بين الطرفين، حيث ذكر في الخطاب الأول : «إسرائيل»، وبعدها ذكر «عندكم» : ومن هنا يتأكد الانتماء الثقافى الشتاتى .

ومقابل التمسك بالشتات وثقافته، من قبل الكتاب والأدباء اليهود في دول شتاتهم، فى كل من شرق وغرب أوروبا، قبل الحرب، وبعدها، نجد الأدباء الذين هاجروا إلى إسرائيل، وخاصة أدباء الشرق، يصرخون من التفرقة، فنجد الأديب الشرقى «سامي ميخائيل»، يقول: «تبلورت لدى طوائف الشرق مسيرة مستمرة لازدهار الثقافة، التي تعبر عن جميع مستويات الحياة الاقتصادية والاجتماعية. ولكن بالتأكيد، فإن أبناء وطوائف الشرق يعيشون ضمن الطبقات الدنيا فى إسرائيل. وهذا الوضع يتطلب أن يكون لهم سند أو حراس، وأنا أرفض الوصاية على طوائف الشرق، ولكن اليوم أبناء طوائف الشرق في حاجة إلى تحفيز هويتهم الإسرائيلية، فاليوم يوجد منهم قيادة ناضجة تضم مؤلفين إسرائيليين، وعلى مستوى الحياة . واستمرار وصفهم بهذا الاسم يمثل إهانة لهم، وحسب ذلك تكون بمثابة إهانة للأديب « أهارون أبيلفلد»، إذ أطلقوا عليه لقب أديب بولندى، ولكن طوائف الشرق يجب أن يكون لهم فخر بإسرائيل، وتلك خطوة جديدة تعتمد على الماضى والالتزام به دون المساعدة. وقد ازدهرت هنا فى إسرائيل إنجازات القيادة الصغيرة خلال صراع مرير مع الماضي، والواقع فى دولة إسرائيل»[1].

ولم يقف الأديب الطائفى الشرقي «سامي ميخائيل»، مكتوف الأيدي تجاه التفرقة الطائفية فى المجتمع الإسرائيلي، مكتفياً بعرض وجهة نظره من خلال عرضها فى رواياته

(١)חמו, דווד, שם, עמ'5.

وأعماله الأدبية، ولكنه « خرج بحملة ضد التنظيمات الطائفية، وذلك في مقابلات صحفية، علاوة على النيران التى أضرمها في مسرحية « شياطين في السرداب»، حيث أشعل النقاش حول النزاع الأشكنازى الشرقى الذى ساد إسرائيل، في السنوات الأخيرة، فهو عضو سابق في الحزب الشيوعى، وذكر أن التنظيمات السياسية لطوائف الشرق، بالضرورة لن تقف فى مجابهة الديمقراطية لتصل بالدولة إلى التقهقر. وقد تصدى له «رفابن شوشان»، وهو عضو بمركز «تامى»[1]، حيث نفى وجهة نظره، وادعى بأنه مطلوب فحسب، حركة تحرير شرقية تغير وجه طوائف الشرق. فقد وصل تناولهما الاجتماعى المتعارض لحد التعبير بالمواجهة، وبالتالى أدت بهما بالضرورة لاتجاهات مؤثرة، ومختلفة، ومتعارضة، يجب التسليم بها؛ لأنها تمس صلب الحياة الجماهيرية»[2].

وعلى الرغم مما تبذله الصهيونية من جهود لتجميل إسرائيل في نظر الشتات، والأساليب المختلفة لجذب يهود الشتات، نجد في المقابل تمسك الشباب بالشتات لدرجة تصل إلى حد التنصل من اليهودية ذاتها.

وهاهو «أروينج» نجل فويجلمان، في رواية «فويجلمان»، يؤكد على ذلك:

«حكى لي والدي بأنك تدرس التاريخ اليهودي، ثم أهتم بتلك الفقرات التى تهمه، وبالموضوعات أيضاً، وبطريقة أو منهج البحث بالنسبة لى؟

قال أربيل (مدرس التاريخ)

وعند إجابتى، وجدت أذناً صاغية. وكان يحرك رأسه في أعقاب كل فقرة كدلالة الموافقة.

وعندما أنهيت حديثي، احتضن أكتافه بذراعيه الطويلتين، كما لو كان يخشى نزلة برد.

---

(١)هو أحد المراكز المعنية بدراسات الشرق الأوسط، حول السلام وتوجهات إسرائيل فى علاقاتها مع العرب والفلسطينيين، وهو من المراكز التى استحدثت بعد حرب السادس من أكتوبر، وخاصة بعد اتفاقيات السلام التى عقدتها إسرائيل مع مصر، وهو تابع لجامعة تل أبيب. للمزيد راجع، Palestine – Israel journal of political economics and cultural education, (Tel-Aviv1998), p.1.

(٢)חמו דוד אשם 500 .

وقال: «من أجلى، ومن أجل الحقيقة كل هذا لا يقال كثيرا».

يصعب علىّ القول بأنى أشعر في قرارة نفسى بأننى يهودى، علاوة على الأصل، كما هو واضح أمر لا يتعلق بى.

وعندما التزمت الصمت، رأى أنه من الواجب أن يوضح، إن النزعة القومية هى أمر مستوحى من الشعور المشترك.

إنه يشعر بتعاون كبير – روحى وربما نفسى – مع أستاذ يابانى، حيث إن نظرته الفلسفية قريبة لما عنده، ولا يشعر بمشاركة ما على الإطلاق مع صاحب متجر يهودى من «فلعصيل» بباريس»[1].

وهناك نموذج متطرف جدا بينه وبين دكتور ألمانى شاب منطو على نفسه، رقيق الروح، إذ إنه يكثر من لقائه، حيث تعرف عليه في أكسفورد. اندلعت حرب نفسية كبيرة جداً بينه وبين أخته «مئورليان»، حيث لا توجد لغة مشتركة بينهما[2].

تفرز الفقرة السابقة :-

* التاريخ اليهودي لا يرقى إلى الحقيقة.

- السرد التاريخي اليهودي والموضوعات الملفقة به لا تستحوذ على اهتمام شباب الشتات.
- الشاب الشتاتى يعرف أصوله اليهودية على الأوراق، ولكنه يفتقد الشعور بيهوديته.
- النزعة القومية لا تحدث من خلال أوراق تثبت الأصل، ولكن من خلال شعور مشترك.
- أفكاره ومشاعره تتقارب مع الغرب موطن ولادته ونشأته، وربما مع عالم يابانى يشاركه الفكر.

(١)חמו, דוד, שם, עמ'5.

(٢)שם, עמ'93.

- لا يجد قاسماً مشتركاً مع أى تاجر يهودي، أو أي يهودي لمجرد أنه من أصل يهودي.

- الأصل عند الشاب في التوافق من خلال لغة وفكر مشترك، وهو كيهودى شتاتى غربى يجد هويته به، وليس كيهودي من الواجب عليه الاتجاه صوب إسرائيل، وكل من يحمل هوية يهودية حسب ما تخطط له الأيديولوجية الصهيونية .

وإذا ما فحصنا وجهة نظر الكاتب حول الشاب اليهودي، ونشأته الغربية، ورفضه لليهودية، لوجدنا أن تلك التوجهات والأفكار يحملها الشاب «الصبارى» في إسرائيل، ومن هنا نجد أن الكاتب يقبل «صبارية» شباب إسرائيل ويسلم بصفات الشاب الشتاتى التى تماثلها ولكن في الغرب، وكلاهما يتمسك بفكره ومكانه، ويشتركان معاً في رفض اليهودية.

«إن دراسة وثقافة البروفيسور « تسفى اربيل» (أحد أبطال رواية «فويجلمان»)، أهلتُه، منذ طفولته لأن يعطى ظهره لليهود في الشتات، ولعالمهم الروحاني، وتعلم فحسب، أن يكون صبارياً. مفهوم الصبارية وفقاً لمفهوم والده (والد تسفى اربيل) الأثرى، كان هو الابتعاد عن كل ما هو يهودى ويهودية، وما يمثلهما (أراد أن يصنع منى رجلاً عبرياً)» [1].

حتمية الصراعات بين اليهود:

وعلى غرار ما يدور في إسرائيل، في الوقت الراهن، من صراعات سياسية، وطائفية، ودينية، يرصد «أهارون أبيلفلد» في رواية «حفرة الثلج» حالة متشابهة لمجموعة من اليهود على مختلف انتماءاتهم، يعيشون في سرداب في أرض الشتات، وفي ظروف قاسية بما بينهم من الخلافات والتناقضات .

«نحن نقضى الليالى في سرداب « هونيج»، وعندنا إحساس بأن أيامنا هنا معدودة، وعما قريب لن نكون هنا.

وهناك عيون أخرى تتطلع وتندهش من الحياة التى ولت، ولكن في الوقت نفسه،

(١)אורן, יוסף: הצבר, שם, עמ' 24.

ومع كل هذا، نتناقش ونعرض أمور صعبة .

شيوعيون ضد رجال البوند[1]، وصهيونيون شموليون ضد أعضاء الحارس الصغير (هشومير هتساعير) .

وعبثاً يحاول «هونيج تهدئة الجو ».

ماذا نفعل : إن المشاعر التى كانت محبوسة لأيام كثيرة خرجت من مخبئها، وتعجبت «ايده»، وقالت : هذا سرداب مدهش .

فى أى شيء ؟

فى كل ما وجد هنا.....

المناقشات .....

لا . الحركة، والأسلوب، والحلم .

أنا أخشى من مشاعرها (متقلبة)

إنها كل يوم تنفصل عن قسم وتنضم لآخر في السرداب .

لقد قالت لى بالأمس: هناك شيوعيان على الناصية أذكرهما على الدوام .

ماذا فيهما ؟

الاستقامة المدهشة.

جذبتنى «ايده » إلى مشاعرها

وهنا ومن واجبى أن اعترف، ممر لمدركاتي، فذلك سرور وجروح بالنسبة لى .

(١)البوند: هم اليهود حاملو لواء التعصب ضد الثقافة العبرية. وقد جروا في أعقابهم عددا لا بائس به من أدباء العبرية، وبصفة خاصة أولئك الذين كانوا متحفظين ضد الصهيونية وقد كان تمسك البوند بلغة اليديش، طبيعياً، في حد ذاته، وأدى إلى خلق نظرية عن اليديش باعتبارها ملازمة مخلصة للنضال من أجل تحسين حال اليهود في الشتات . للمزيد راجع: الشامى. رشاد (دكتور) تطور وخصائص اللغة العبرية القديمة، المرجع السابق.

قالت لى في المساء : كل ما نراه الآن يمر ويحزننا .

ويستمر، رغم أنه ستر عنا، ومع يوم وصوله نعود وندرسه .

وماذا نجد ؟

نجد أنه لا شيء قد ضاع»[1].

«الطائفة اليهودية في رواية «حفرة الثلج» طائفة حديثة تضم كل التيارات السياسية، والحياة، والانحطاط، من «**השומר הצעיר** الحارس الصغير» وحتى «بيتار **ביתר**» قوة الرعب، الجميع يتنازعون بينهم وبين أنفسهم هم يكرهون من ؟ ألم يكن المتدينون ألم يكونوا مضطرين للمحافظة على الوصايا في السر: جميعهم يجدون السبب لاتهامهم بالطبع. بما حدث، البعض يتهمونهم بما أنضج تعصبهم ومحافظتهم على أمور قديمة منعت اندماج اليهود، وحيال المذابح ومعادة السامية، البعض يشكون في صحة إخلاصهم بالطبع بغرض إنقاذهم، لذلك كرهوهم، الرغبات، الأحلام، الكبرياء، والرغبات تبدو كتلك التى عند أشخاص، في الوقت الراهن، ولكن نجد هنا عدم النجاح في التغلب على المصاعب، ونجد الأقوياء المكسورين والمضطهدين، وفي نهاية الأمر، الإبادة»[2] .

لقد استطاع « أهارون أبيلفلد» أن يرسم صورة مصغرة في الشتات، تمثل دولة إسرائيل، في وضعها الحالي، من حيث الشكل والمضمون، فيما يتعلق بالصراعات الإثنية:-

أ – **الشكل** : عبارة عن مجموعة من الأشخاص يعيشون في سرداب تحت ظروف صعبة، ترمز إلى تواجد دولة إسرائيل في قلب الشرق الأوسط على اتساعه، وهى على صغر حجمها، وعظم نزاعاتها وكثرتها، ضد أصحاب الأرض الحقيقيين، وجيرانها من العرب .

ب- **المضمون** : الانقسامات والاختلافات المذهبية، ما بين دينية تمثل العلمانيين

(١)אפלפלד, אהרון: מכרה הקרח, שם, עמ'67.

(٢)יוסף, יעקב: סקרנות של סוציולוג, אפלפלד, אהרון: מכרה הקרח, כל בו חיפה, 9/ 8/ 1977, עמ'8.

ضد المتدينين، والسياسية بين الشيوعيين والصهيونيين، ومنظمات الأحزاب اليسارية واليمينية، على نحو ما هو سائد الآن، من تلك الصراعات داخل المجتمع الإسرائيلي.

وبالإضافة إلى ذلك، فقد أشار أبيلفيلد إلى التقلبات السياسية، وعدم الثبات على مبدأ معين في السياسة، والتقلب من اتجاه لآخر، من خلال تقلب إحدى الشخصيات في الرواية من اتجاه لأخر داخل السرداب، وهو ما يعطينا الانطباع في الوقت الراهن، من صعوبة خروج قرار حكيم من قبل القيادات الصهيونية؛ لأن القرار مصدره إحدى الشخصيات التى أفرزتها تلك الموروثات من الشتات، وحتى قيام دولة إسرائيل .

«على العكس من روايات كثيرة كتبها الناجون من أحداث النازية، عرض «أبيلفلد» التجارب القاسية التى عاشها هو والمعتقلون، ليس فحسب، في الحياة اليومية، ولكن من خلال الصراع النفسى، فمن الممكن القول بأن المؤلف تناول مجموعة من الإسرائيليين المعاصرين مكونه من الحريديم، ومسرحيين من الجيش، سكان المدن القديمة والجديدة، وفحص ببحث اجتماعى كيف كان هؤلاء في تجاوزهم لأحداث النازية، ورسم «أبيلفلد» صوراً وأشكالاً تمثل شريحة اجتماعية قائمة اليوم، وهذا هو التفرد في الرواية »[1].

وكما عرض « أهارون ميجد » في رواية «فويجلمان » تنصل الشاب الشتاتى «اروينج» من يهوديته، عرض كذلك « أهارون أبيلفلد» في رواية « حفرة الثلج» الشيء نفسه، ولكنه رده لجيل أسبق، وهو جيل الآباء الذى تنصل من يهوديته وجذوره :-

«روى لى صديق روحى الآن « هونيج » عن والدى وأسرته، وقال: هناك كثيرون تمردوا على آبائهم، ولكن تمرد والدى كان من الصعوبة والتطرف، حيث قطع كل الروابط من جذورها، ومع الأسف، توسلوا إليه للتصالح مع والديه المسنين، ولكنه رفض[2].

ويعرض تنصل إحدى بطلات الرواية، أيضاً، من اليهودية بعدم التمسك بأحكام

(١)שם, עמ'8.

(٢)אפלפלד, אהרון: מכרה הקרח, עמ'10.

الطعام الحلال (الكشيروت)، وهى والده شخصيه «ايده» (رواية حفرة الثلج) [1] .

«لم تتوقف والدة «ايده» عن الحلم، مخاوف قديمة ومحن اليوم متداخلة عندها، دون فصل. والآن، تشغلها أمور الكشيروت، وهى نادمة لعدم سماعها نداء والدتها، ولم تتمسك (بالكشيروت) [2] .

وهكذا عرض كل من ميجد وأبيلفلد في الرواتيين «فويجلمان» و «حفرة الثلج» الانفصال عن اليهودية، وجذورها لشباب في الشتات، وأيضا لجيل الآباء وكان العرض بدءاً بالانفصال التام عن اليهودية، ووصولاً إلى عدم التمسك بأصول الشريعة «الكشيروت»، وهى صفة مخففه للعلمانية أو الإلحاد، وخاصة عند أبيلفلد حيث أعرب عن ندم وعدم رضا من قبل تلك الشخصية.

ويستمر « أبيلفلد» في رواية « حفرة الثلج» في عرضه لمظاهر الإلحاد والعلمانية في الشتات، من خلال حوار بين ملحد ومتدين، أو بين علمانى ومتدين، مع محاولة إصدار أسباب لعدم تمسك بعض اليهود بالدين هناك، وذلك لعرض الواقع بوجود الطرفين المتناقضين والمتصارعين في الشتات، على غرار الحادث، حالياً، بإسرائيل .

«صحيح. لكن نحن لا نطلق على أنفسنا متدينين، ولكن عابدى الرب .

هذه التسمية غير مفهومة بالنسبة لى .

لماذا يجب علينا أن نعبده ؟

- من حيث إنه واحد ووحيدن ولا يوجد سواه .

أقصد أنه يفعل ما يريد .

صحيح

لماذا يعذبنا ....

---

(١)لليهود حسب شريعتهم طقوس شديدة التعقيد فى الطعام والذبح قد لا توجد عند غيرهم من أصحاب الملل والنحل، فعدا أن طعام غيرهم محرم عليهم، فإنهم متشددون فى قوانين الطعام فيما بينهم. للمزيد راجع، الزرو، صلاح، المرجع السابق، ص٤٦٦- ٤٧٠.

(٢)שם, עמ'61.

تلك المسألة لا يجدى أن تتوجه بها إلىّ .

فمن ناحيتى لا يمكن أن أجيبك على تلك المسألة بشيء

- من أسأل ؟
- تسأل الرب.

وأنت لم تسأله؟

أنا لا أحبذ السؤال.

ألم تسأله ولو مرة؟

لا

قال الهارب: هذا ممر لاعتراضى. ثم سكت.

جلسنا وأنصتنا دون كلام»[1].

كانت تلك فلسفة الملحد في ابتعاده عن الدين وعن الرب، لدرجة عدم السؤال الاعتراض على الرب، حيث إنه يفرض العذاب».

ربما قصد المؤلف من كلمة «يعذبنا» ما جرى في الشتات، في فترة أحداث الرواية، إبان الحرب العالمية الثانية، وما تعرض له اليهود (حسب أحداث الرواية) من عذاب، ومشاق، وصعاب في معسكرات العمل النازية .

ومما يؤكد ذلك ما أورده «أبيلفلد» في الفقرة التالية، حيث يرجع عدم التمسك بالدين، في تلك المرحلة، في الشتات إلى الحياة الصعبة في المعسكرات.

«رأيت في حلمى الحاخام «شحيتان» عندنا .

من البداية، رأيت أبناءه الأقوياء الذين وقفوا في المقدمة، وفحصوا كل الداخلين.

وبعد ذلك شاهدت الغرفة الصغيرة المضاءة بشمعتين .

(١)אפלפלד, אהרון: מכרה הקרח, שם, עמ'183- 184.

ظهر لى الحاخام نفسه قصير جداً، على عكس ما عرفته .

فجأة، توجه إلىّ الحاخام، وسألني :

ما الذى تعلمته كما وعدتنى أن تتعلم ؟

سيدى الحاخام : كنت في معسكر العمل ....

ألم يصادفك هناك متدينون (عباد الرب)

صادفونى ..

ولكن حياتنا هناك لم تكن حياة ....[1].

ويتأرجح المؤلف في رواية «حفر الثلج» بين الإلحاد المطلق والإيمان التقليدى، وذلك من خلال شخصية «هونيج» المسؤول عن السرداب الذى يضم مجموعة من اليهود على مختلف توجهاتهم، حيث يموت منتحراً بعد أن عاش طوال حياته ملحداً، وفي لحظاته الأخيرة، وهو يفارق الحياة، يصرح بإيمانه وتدينه الموروث .

«فتح » هونيج « عينيه وقال: نحن مؤمنون أبناء مؤمنين، ونعرف أن الحياة ما هى إلا ردهة يأتى بعدها الاستقبال في مكان الاستقبال

الموت خداع وكذب .

كان في صوته قوة جبارة .

على غرار رجل ليس فحسب، في لحظات ضعفه، ولكن أيضاً، في إلحاده غير المعقول في شبابه، حيث تمكن منه وسيطر عليه، سنوات طويلة»[2] .

أفرزت الفقرات السابقة عدة قضايا تتعلق بالصهيونية، ومن أبرزها وسائل الترغيب فى الهجرة من الشتات، ثم المجهودات الكبيرة في عملية الصهر والذوبان في المجتمع الإسرائيلي المكون من مختلف الثقافات من شتى دول العالم. وقد ظهرت بوضوح

(١)אפלפלד, אהרון: מכרה הקרח, שם, עמ' 123 -124.

(٢)שם, עמ' 189- 190.

صعوبة تحقيق ذلك على أرض الواقع، مما يبرهن على فشل الصهيونية في واحدة من أهم مقوماتها الأيديولوجية .

الهجرة لإسرائيل وشروطها المادية :

وفي الفقرة التالية فى رواية «فويجلمان»، يناقش «ميجد» عملية الترغيب لهجرة واحد من يهود الشتات، وهو (فويجلمان)، حيث يكتب أشعاره باليديشية، ويقيم في فرنسا، وعلى الرغم من الاغراءات التى تلقاها من «صبار إسرائيلي»، فإنه يرفض ويبدى أسباب رفضه، وهى في الغالب تحقيق مكاسب جديدة في إسرائيل. وهذا هو الفيصل عند المهاجرين أصحاب المال، والأعمال، والفكر الذين يسعون لتحقيق مكاسب أكثر مما هم فيه، وإلا فالهجرة مرفوضة، والبقاء في الشتات أفضل.

«قلت له إن الباب مفتوح أمامه (إسرائيل)

وعلى هذا النحو عليه الإسراع بمغادرة باريس، وجمع متعلقاته، والمجيء إلى هنا .

غطت وجهه غمامة سوداء .

قال : نعم . لكن كيف ....؟

ومن هنا يعرف من أنا .... مجهول .....

ابن بلا اسم .....

قلت: يوجد هنا (فى إسرائيل) جمهور كبير من قراء اليديش، وكُتَّاب اليديش، ودارسو اليديش، وأشفقت على خجله .....

أهمل أقوالي، وقال : من بين جميع أدباء اليديش، يوجد اثنان أو ثلاثة معروفون للجمهور العريض المثقف، ويحظون باحترام كبير، وعلى هذا الأساس ترجمت أعمالهم للعبرية .

ترجم أنت أشعارك للعبرية .

من ؟

نظر إلى بتحد، وقال : من يترجم ؟

خبت الزرقة التى في عينيه، وعمت ملامح وجهه سحابة من الحزن والإهانة.

وحكى أنه منذ عدة سنوات ترجمت له قصيدة للعبرية، ونشرت في ملحق أدبي يصدر في إسرائيل .

وبعد حوالى شهر، أرسل له أحد معارفه – حفظنى الله من أصدقاء كهؤلاء – أن الصحيفة التى نشرت نقداً عن هذا المحلق، قررت أن قصيدته نفاية حقيقية»[1].

وتستمر المناقشات بين الصبار الإسرائيلي «أربيل » والشتاتى «فويجلمان»، حول الهجرة لإسرائيل، وهنا نرى حرص الكاتب «ميجد» على إظهار نجاح المجهودات والمغريات الصهيونية في إقناع اليهودي الشتاتى، الشاعر الييديشى «فويجلمان » بالهجرة لإسرائيل، ولكنها كما عرضنا من قبل هجرة مشروطة بالمنفعة، وهى هنا بالتحديد، ترجمة ديوانه الييديشى للعبرية في إسرائيل، وذلك قبل شروعه في الهجرة .

«ها هو قد ارتكن بجوارى هامساً، كما لو كان يكشف عن سر :

وقال : عندى موضوع محدد، سأتوجه لإسرائيل للاستقرار، بشكل دائم.

وبعد أن هنأته على ذلك، قال: ليس حالياً، لكن بعد أن ينشر كتابى هناك بالعبرية .

قلت : رأى صائب، من الضروري أن الكتاب يسبقه هناك، لكن من الذى سيقوم بالترجمة لي، رب العالمين بسط يديه، وأنا لا أعرف أحدا من المترجمين هناك .

أكدت له أنه عند عودتى لإسرائيل (هناك) سأهتم بالموضوع، وأبلغه

هل تهتم يا هيرش ؟ صوب عينية تجاهى.

في تلك الأثناء كانت المائدة قد أعدت، ودعينا للجلوس عليها.

قدمت «هند» طعاماً يهودياً بسيطاً على المائدة : شرائح كبد وحساء دجاج مع مكرونه، فراخ طازجة مع جزر بالزبيب، برتقال، وبرقوق، وفطيرة. فتح فويجلمان زجاجة خمر فورت، وهنأنا بعضنا البعض، مع رشفات الشوربة الساخنة التى يملأ وجهها حلقات الدسم الذهبية. لقد عشت في بولندا، وليتوانيا، ، وأوكرانيا على مدى

(١)מגד, אהרון: שם, עמ'69.

خمسين عام، من قبل، بعيد جداً عن باريس»[1].

إن «فويجلمان» اليهودي الشتاتى الذي عاش خمسين عاماً في مختلف دول الشتات، لم يفكر فى الهجرة لأى سبب صهيونى، كالارتباط الروحى بفلسطين، ولكن بغرض الفائدة فحسب.

« قدمت رواية «فويجلمان» لقاء الصبارية كبداية جديدة بصدق مثالى، وقدمت «فويجلمان» كممثل للشعب اليهودي بكل عصوره . أساس نجاح «ميجد» في تصوير ملامح «فويجلمان» ليس فحسب، لأنه يملك بيوجرافيا شخصية، ولكن أيضاً، بشكل شخصيته التى تعرض العلامات المدهشة للشعب اليهودي»[2] .

وهكذا تعبر شخصية «فويجلمان» عن غالبية يهود الشتات الذين جرتهم الصهيونية إلى فلسطين، وروجَّت أيديولوجيتها القائلة بالأرض الموعودة والارتباط الروحى. ولكن لم نجد شيئاً من هذا في تلك الرواية، التي أشار النقاد اليهود إلى أن بطلها يمثل الشعب اليهودي، وكانت المنفعة من وراء الهجرة هى الدافع الأول لمغادرة الشتات .

وإذا كانت شخصية «فويجلمان» تمثل الشعب اليهودي في الشتات، حسب رأى نقاد الأدب العبرى المعاصر، فبناء على ذلك، فإن هجرة يهود الشتات قد اجتذبتهم وعود الصهيونية، فنجد أنهم إما :-

أ – أصحاب فكر أو مال، ويرغبون في المزيد والاستثمار.

ب- فقراء يعانون الكساد، ويرغبون في تحسين أحوالهم في فلسطين،

والقسم الثالث فضل البقاء في الشتات .

« إن معظم القادمين الحاليين من اليهود وفدوا على إسرائيل مفلسين، يمتلكون القليل، أو لا يتملكون شيئاً، على الإطلاق، ليبدءوا به حياتهم الجديدة، وعلى الخصوص أولئك الوافدين من شرق أوروبا، وكذلك من منطقة الشرق الأدنى، وأكثر من ذلك فإن المهاجرين اليهود الذين كانوا في معسكرات السخرة والموت التى نصبها النازيون لهم،

(١)מגד, אהרון: שם, עמ' 107- 108.

(٢)אורן, יוסף: הצבר, שם, עמ'24.

والذين قدر لهم البقاء أحياء بعد العهد النازى – هؤلاء قد اكتسبوا صفات فرضتها ظروف المعسكرات التى عاشوا فيها معركة «الكلاب التى تنهش بعضها بعضا من أجل البقاء»، على حد تعبير الكاتب ليرمان «Dog Eat Dog For Survival»، فبعضهم قد أصبح وحشى الطباع، على حين أن بعضهم الآخر أصبح متبلد الشعور، فاقد الإحساس، مضطرب الشخصية، مجرداً من الدوافع أو روح المبادرة للعمل ، غير قادر على استعادة حيويته، دون رعاية طويلة وصبورة»[1].

تعدد الهويات الوافدة من الشتات، وفشل الصهر والاندماج:

وفي موضع أخر فى رواية «فويجلمان» يرصد «ميجد» موضوعين من أهم الموضوعات التى تهمنا في دراسة المجتمع الإسرائيلي، في الوقت الراهن[2].

أولهما. البنية الأساسية التى تشكل هذا المجتمع، وهى عبارة عن خليط غير متجانس وافد من مختلف دول الشتات، بمختلف الثقافات والهويات، ومن هنا، تأتى صعوبة الصهر في بوتقة واحدة، حسبما تريد الصهيونية.

وثانيهما، هو أكذوبة نقاء الجنس اليهودي على مدى التاريخ.

«توسطنا جسر هسينه، وفي الطريق رويت له حسب رغبته، عما جرى في المؤتمر الذى عقد في ستراسبور .

رويت له عن محاضرة لأستاذ غير يهودى من جامعة أوفسيله بالسويد، فقد كتب بحثاً مهماً حول التاريخ اليهودي القديم، وفي محاضرته أراد تفنيد الرأي حول واقع الجنس اليهودي، وذلك من بدايات نشأته على مدى التاريخ، العناصر الغريبة التى تداخلت به، وهوية السواد الأعظم ونشأته.

وهكذا ؟

توقف فويجلمان.

---

(١) Franklin, D. Scott., World immigration in modern times. (U.S.A 1968), Israel melting pot.

(٢)هال ليرمان، الهجرة العالمية فى العصور الحديثة بوتقة الصهر الإسرائيلية، عرض (الدكتور) على البنا، مجلة السياسة الدولية(٣٢)، ص١٨٣.

وهكذا نسلم بأنه صادق ....

حيث إننا جميعاً خليط من الناس...

إذن ما هى نتيجة هذا ؟

ماذا يغير هذا ؟

هل تعرف ماذا قال ؟ كيف أصبحنا؟

اليهود كارثة عائلية .... كارثة عائلية

ضحك بصوت عال .

هذه كارثة عائلية بالنسبة لي، أما عندك، فلا»[1].

وحول قضية إمكانية صهر اليهود الوافدين من مختلف دول الشتات في بوتقة واحدة، كتب «هال ليرمان» تحت عنوان (بوتقة الصهر الإسرائيلية) (Israel melting pot)، في كتاب تحت عنوان « الهجرة العالمية في العصور الحديثة »، والكاتب وقد عايش اليهود المهاجرين إلى إسرائيل، ورأى بنفسه أبعاد الهجرة اليهودية، وما ترتب عليها من مشكلات حضارية، وثقافية، واجتماعية معقدة، خلقها التيار المفاجئ والمتناقض للعناصر اليهودية المتدفقة على أرض فلسطين من مختلف دول الشتات، حيث يقول: «إلى جانب الاضطراب والارتباك الذى سببه عدم اندماج وانصهار العناصر المهاجرة، فثمة أيضاً، فوضى الأصول القديمة، إذ إن هناك ما لا يقل عن إحدى وستين جنسية ممثلة في أفواج الهجرة اليهودية الوافدة إلى إسرائيل، وهذا في حد ذاته قد حوّل إسرائيل إلى وعاء احتوى مثل هذه « الخلطة» التى لا يوجد مثلها في أى دولة في العالم. وهذا السيل المتدفق الذى دفع إلى فلسطين بشتات من العناصر البشرية من كافة جهات العالم، وقفت أمامه الأرض الفلسطينية والمجتمع الإسرائيلي عاجزين عن استقبالهم، ودمج هذه الوفود المتناقضة المتنافرة، وصهرهم في حياة واحدة مما فرض بالضرورة مشكلات متعددة بالنسبة إلى الاستقرار الاقتصادى، والعلاقات الاجتماعية داخل

(١)מגד, אהרון: שם, עמ'105.

إسرائيل »[1].

وفي رواية « حفرة الثلج » هناك إشارة لهجرة الشتات اليهودي لقلة فقط منهم على مختلف نوعياتهم، حيث إن المؤلف «أهارون أبيلفلد» «لم يصف ضحايا فقراء وأتقياء، تماماً، أو مجرمين، تماماً، ولكن أقوياء، وضعفاء، وضحايا، ولصوص، ومحاربين، وتجار، وفلاسفة، جميعهم سويا أو فرادى كل على حدة. يحاولون النجاة من الصحراء الكبرى للشتات وفحسب، قلائل - بقية الانطلاقة - يخرجون في كل العصور من مصر»[2].

«و يعزو «باروخ كيمرلنج» (أستاذ علم الاجتماع بالجامعة العبرية) المأزق الذى تواجهه إسرائيل بوجود هذه التركيبة المتنافرة، إلى ما يحمله المجتمع من عناصر التحلل والانتحار، وافتقاره إلى التجانس الطبيعى، لأنه مجتمع قام على عنصرين مصنوعين أساسيين، ومازال يعتمد عليهما فى نموه وهما، الهجرة والاستيطان، لذلك يعانى هذا المجتمع أزمة شرعية الوجود، لقيام هذا الوجود على عناصر غير طبيعية. وهذا الوضع يدفع إلى إفراز عقدة الخوف، وتكريس الالتجاء إلى العنف فى تثبيته وإثباته، وبالتالى الاعتداء المستمر على الفلسطينيين، ومعاملتهم بوحشية متخلفة، باعتبارهم سبب البلاء الذى تعانى منه إسرائيل، رغم أنهم أبرياء من هذا الاتهام، ذلك لأن الآفة الحقيقية التى يعانى منها المجتمع الإسرائيلي، هي عجزه عن الانصهار الكامل لمكوناته، وبقائه مفككاً مفتقراً لجوهر الفكرة الصهيونية»[3].

ويعتبر قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين النار التى أوقدت الحرب داخل صفوف اليهود فى شتاتهم، وفى دولتهم، مما يؤكد فشل الصهيونية فى إمكانية تطبيع اليهود وصهرهم، «وكانت محرقة النازية لليهود فى أى صورة من صورها الحقيقية أو الوهمية، دليلاً على فشل الصهيونية فى تحقيق هدفها، أى تطبيع «الشعب اليهودي»، ثم قامت إسرائيل لتقدم الدليل الثانى على هذا الفشل، ولكنه الدليل المتشعب والمولِّد

(١)هال ليرمان، المرجع السابق، ص ١٨٣.

(٢)שקד, גרשון: אהרון אפלפלד, סדרת צד החפר, הארץ 27/ 7/ 1994, עמ'9.

(٣)المجدوب، طه: انكشاف التوازنات المصطنعة فى المجتمع الإسرائيلي، إسرائيل والمشروع الصهيونى(٣)، الأهرام، تحقيقات وتقارير خارجية، جريدة الأهرام، ٤/ ٢/ ٢٠٠١، ص٦.

لعدد من الأدلة الفرعية المتعددة، كان قيام إسرائيل فى حد ذاته أهم عقبة فى تطبيع اليهود، لأنه قسَّم اليهود بين إسرائيليين ويهود شتات، ولن يكون اليهود شعباً طبيعياً إلا إذا انتفت إحدى الصفتين»[1].

ويشير إلى ظاهرة عدم الصهر فى المجتمع الإسرائيلي «شلومو بن عامى» (أستاذ بجامعة تل أبيب)، بقوله:«إن هذا المجتمع الذى أنشأه الآباء المؤسسون من الصهاينة على أن يكون بوتقة صهر تمتزج فيها مختلف الثقافات واللغات، تحول إلى مجتمع متعدد الأعراق، ومتعدد الثقافات، ومتعدد الطوائف. لقد تغيرت وتفتت الصورة الأسطورية المأمولة لتحل محلها صور أخرى عديدة لكل منها شرعيته .... بين اليهودي والعربى، والمتشددين دينياً (الحريديم)، والقوميين الدينيين (جوش إيمونيم)، والتقليديين، والعلمانيين، وغيرهم ممن تمتد جذورهم إلى أصول عرقية مختلفة، مثل السفاراديم، والأشكنازيم، والمهاجرين الروس، والأثيوبيين وغيرهم. وقد أدى هذا التفتيت للصيغة الإسرائيلية إلى تشرذم المجتمع بين ثقافات وطوائف مختلفة، ولهجات متباينة، وبين مواقف متصارعة تجاه صورة الدولة اليهودية، ويرى «بن عامى» أن هذه الانشقاقات تؤهل لحدوث انفجارات عنيفة داخل المجتمع»[2].

ويعتقد الصحفي اليهودي المغربي المولد، «جفرون دانيال» (أحد مؤسسى حركة الشرق من أجل السلام)، بأن اليهود الشرقيين قد اضطروا لاتخاذ موقف سياسى أكثر صقرية، وهو أمر غريب عليهم، بسبب الشعور بالنقص، ونظراً لأن الأشكنازيم ينظرون إلى اليهود الشرقيين كما ينظرون إلى العرب، فقد تبنى هؤلاء مواقف متطرفة ضد العرب، لإثبات مصداقيتهم للصهيونية، وأنه عند استعادة اليهود الشرقيين لكرامتهم فى تقاليدهم الحضارية، فإنه سيكون بإمكانهم أن يشكلوا خسراً إلى العالم العربي»[3].

كذلك فإن «وضع اليهود الشرقيين فى الكنيست ليس أفضل حالاً من المناصب الأخرى؛ وأن نسبتهم التى لا تتجاوز الخُمس، في أكثر الأحيان، لا تجرؤ حتى على المطالبة برفع التمييز الذى يعانى منه اليهود الشرقيون، إلا بالقدر الذى تسمح به

(١)مطر، جميل: تطبيع اليهود، قضايا وآراء، الأهرام، قضايا وآراء، ٢/ ٦/ ١٩٩٧، ص١٠.

(٢)الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): إشكالية الهوية، المرجع السابق، ص٣٤.

(٣)المرجع السابق، ص١٩٦.

الأحزاب التى ينتمون إليها. ويقول عالم الاجتماع «يوحنا برس» :«إن الطوائف الأشكنازية هى التى تقرر من يمثل الطوائف الشرقية فى الكنيست، والهستدروت، واللجنة التنفيذية الصهيونية. إنها عملية اشتراك وليست عملية تمثيل، فإذا ما تجرأ أحدهم (ويقصد اليهود الشرقيين)، وشق عصا الطاعة، ممن الممكن تغييره بسهولة». وهذا ما أدى فعلاً إلى سيطرة اليهود الغربيين على معظم المرافق الاقتصادية، والاجتماعية، والمراكز السياسية، مما أدى إلى خلق فجوة واسعة بين الطائفتين، وخلق طبقة مهمشة من أبناء الطوائف الشرقية[1].

والحقيقة أن «الأيديولوجية الصهيونية تبقى دوماً إشكالية معقدة تتداخل فيها اتجاهات، ورؤى، وفرضيات عديدة. وهو الأمر الذى أحدث سجالاً واسعاً فى الأدب العبري الإسرائيلي بين الأدباء والنقاد الإسرائيليين، وأصبح هناك ما يمكن أن نطلق عليه « صراع أدبى» بين الأدباء حول تقييم الصهيونية فى الأدب العبرى من ناحية، وبين النقاد الإسرائيليين من ناحية أخرى»[2].

وعلى هذا النحو، يتأكد فشل الصهيونية بكل المقاييس فى تطبيع اليهود وصهرهم فى بوتقة واحدة تحت راية الكيان الصهيونى على أشلاء وأرض الشعب الفلسطينى. ومن هنا تتوافر عوامل الهدم داخل المجتمع الإسرائيلي من الصراعات الداخلية، ومن تحت أقدامهم، حيث ترفضهم الأرض وأصحابها الحقيقيون.

(١)الكردى، شهاب أحمد: إشكالية الاندماج الطائفى فى بعض الأعمال الروائية العبرية للأدباء اليهود العراقيين ١٩٤٨ – ١٩٩٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٨٠.

(٢)علام، عمرو عبد العلي: اتجاهات نقد الصهيونية فى الرواية العبرية المعاصرة خلال الثمانينيات والتسعينيات، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٣٠٦.